أوسامو دازاي

صندوق باندورا

ترجمة ميسرة عفيفي

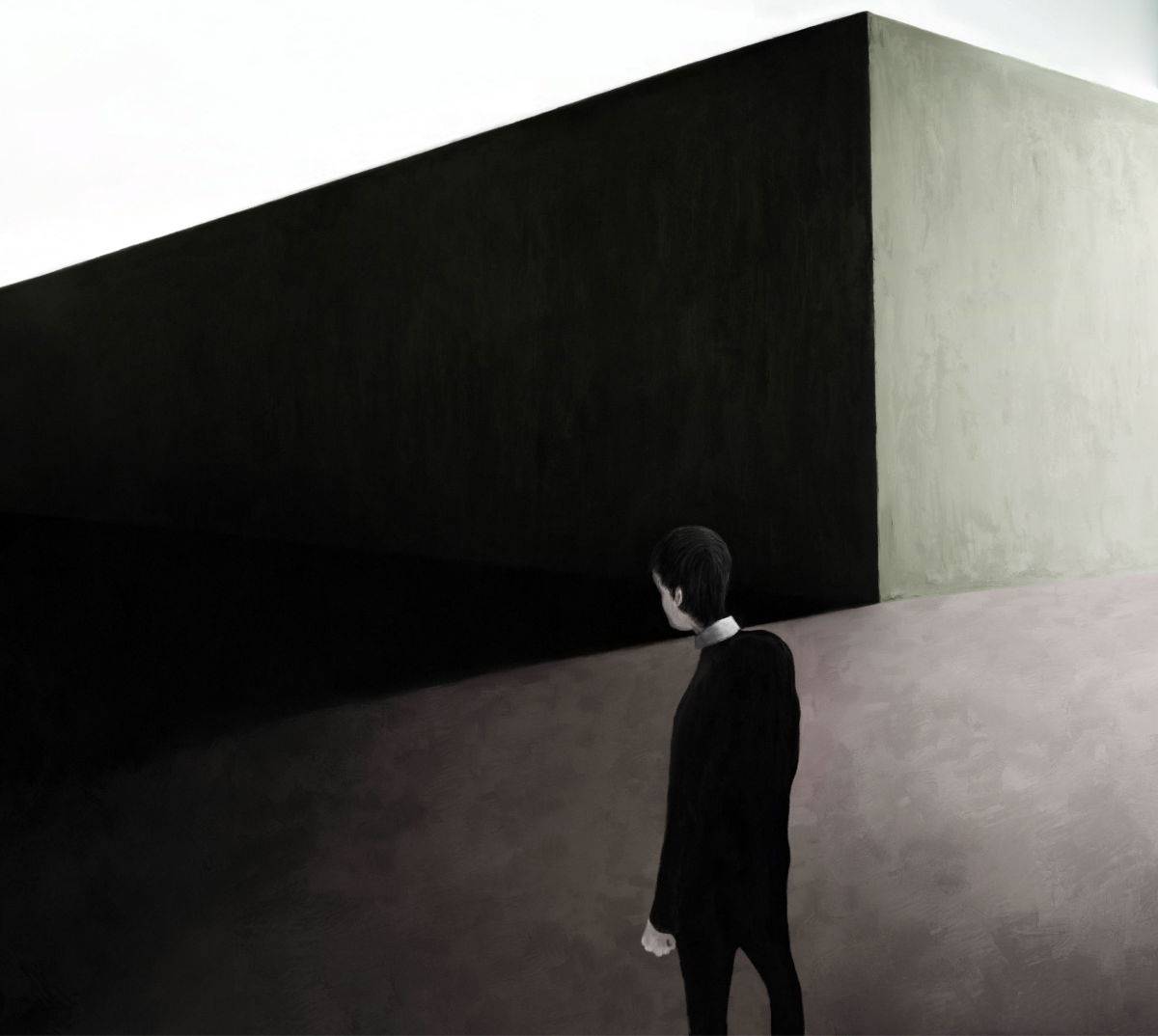

صندوق باندورا

تأليف
أوسامو دازاي

ترجمة
ميسرة عفيفي

هنـــداوي

صندوق باندورا

أوسامو دازاي

パンドラの匣

治 太宰

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ٥ ٣٦٣١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر أصل هذا الكتاب باللغة اليابانية عام ١٩٤٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الأستاذ ميسرة عفيفي.

المحتويات

كلمة المؤلف	٧
افتتاح الستارة	٩
صالة الألعاب الصحية	١٧
صرصور الحقل	٢٧
الموت والحياة	٣٣
مابو	٤١
الصحة العامة	٥١
زهور القُسموس	٥٧
الأخت الصغرى	٦٥
اختبار	٧٣
الخبز الجاف	٨٧
أحمر شفاه	٩٥
الأستاذ كاشو	١٠٥
تاكي سان	١١٧
خاتمة	١٢٩

كلمة المؤلف

(كلمة موجهة من المؤلف للقراء مع بداية نشر الرواية مسلسلةً في جريدة كاهوكو شينبو)

تأخذ هذه الرواية شكل رسائل يُرسلها إلى صديق حميم. شابٌّ في العشرين من عمره يصارع المرض في مصحة أُطلِق عليها اسم «صالة الألعاب الصحية». وأعتقدُ أن قليلًا من الروايات التي تأخذ شكل الرسائل سبق أن نُشر مسلسلًا في الصحف والمجلات؛ ولهذا السبب ربما وقع القراء في حيرة أثناء الحلقات الأربع أو الخمس الأولى، ولكن صيغة الرسائل تُعد شديدة الواقعية؛ ولذلك جربها الكثير من الكتاب منذ زمن بعيد، سواء داخل اليابان أو خارجها.

أما بخصوص عنوان «صندوق باندورا» فمن المفترض أنني سأكتب عنه غدًا في أول حلقة من حلقات الرواية؛ ولذا ما من شيء أكتبه عنه في هذه المقدمة.

لا يجب أن أتحدث بجفاف وغير حميمية، ولكن أحيانًا ما تكون الروايات التي يكتبها رجل على هذا القدر من جفاف المشاعر على العكس شائقة.

(خريف عام ١٩٤٥م)

افتتاح الستارة

١

احذر يا عزيزي من سوء الفهم؛ فأنا لم أيأس مطلقًا، بل إنني في حيرة من أمري لاستلامي رسالة المواساة تلك منك، ثم شعرت بخجل تورَّد منه خداي. مشاعر لا يمكن الراحة والهدوء معها. وربما تغضب لقولي هذا، ولكنني بعد قراءة رسالتك، قلتُ لنفسي: «يا له من قديم!» اعلم يا عزيزي أن الستارة قد فُتحت لعهد جديد. عهد جديد تمامًا لم يسبق لأسلافنا السابقين أن جربوه قط.

عزيزي، لندع التقليد القديم؛ فهو في أغلبه كذب؛ فلم أعد أهتمُّ حتى بمرض صدري الآن. لقد نسيت أمر هذا المرض كاملًا. وليس المرض فقط، بل إنني نسيتُ كل شيء. لقد دخلت صالة الألعاب الصحية هذه عقب الحرب بعد أن شعرتُ فجأةً بندم لضياع حياتي، وفكرت أنني يجب أن أكون بصحة جيدة وأن الوضع سيكون على ما يرام، وبالطبع لم يكن لديَّ نية لفعل أي شيء مقابل أن أنجح في حياتي، أو من أجل بر بالوالدين يوجب الثناء ويستحث الدموع من العيون، مثل أن أُطمئن أبي وأُسعد أمي بأنني شُفيت من المرض. ولكن من جهة أخرى لم آتِ إلى منطقة بعيدة ونائية كهذه بسبب دوافع انتحارية يائسة. أَلَا ترى أن شرح أفعال البشر بالتفصيل أمر خاطئ ونتيجة أفكار بالية قدُمت بالفعل؟ كثير من الشروحات المفتعلة تنتهي غالبًا بمبرِّرات كاذبة. لقد سئمتُ من ألعاب المنطق. أَلَا ترى أنني استنفدتُ كل ما يُمكن أن يقال من أفكار؟ ما أريد قوله في النهاية أن ما من سبب محدَّد لدخولي صالة الألعاب الصحية هذه. في أحد الأيام، وفي أحد الأوقات، تسللتْ روح القدس إلى قلبي، فسالت دموعي لتغسل خدودي، وهكذا ظللتُ بمفردي أبكي كثيرًا، ثم شعرتُ بأن الأعباء انزاحت عن كتفي، وبأن عقلي قد بات رائقًا شفافًا، ومنذ ذلك الوقت

تغيرتُ إلى إنسان آخر تمامًا. لقد أخفيتُ ذلك حتى الآن ولكنني على الفور قلتُ لأمي: لقد بصقتُ دمًا.

فاختار أبي لي صالة ألعاب صحيةً في بطن الجبل. هذا فقط هو ما حدث حقًّا. أنت تعرف جيدًا ماذا أعني بأحد الأيام، وأحد الأوقات، أليس كذلك؟ ذلك اليوم الذي تعرفه! في ظهيرة ذلك اليوم، ذلك الوقت الذي اعتذرتُ لك فيه وأنا أبكي من ذلك الصوت الآتي من السماء بما يشبه المعجزة تمامًا.

منذ ذلك اليوم، لقد شعرتُ كأنني فوق سفينة عملاقة جديدة الصنع. ولم أكن أعلم إلى أين تذهب هذه السفينة. وما زلتُ حتى الآن كأنني في حلم. تبتعد السفينة عن رصيف الميناء ببطء. كنتُ فقط أتوقع توقعًا غامضًا أن ذلك الطريق البحري، هو طريق بِكر جديد تمامًا لم يجرِّبه أحد من هذا العالم من قبل، ولكن حتى الآن أتقدم ببراءة في رحمة طريق التيار السماوي مستقبلًا السفينة العملاقة الجديدة فقط.

ولكن، احذر يا عزيزي أن تُسيء فهمي! فأنا لم أصل مطلقًا إلى حالة من العدمية بعد يأس طويل. إن إبحار السفينة يجعلك تشعر بالضرورة بمشاعر أمل قليل مهما كان طبيعة ذلك الإبحار. وتلك هي طبيعة البشر التي لم تتغير منذ قديم الزمان. أنت تعرف قصة صندوق باندورا في الأساطير اليونانية، أليس كذلك؟ بمجرد أن يُفتح الصندوق الذي لا يجب فتحه، تخرج منه الآلام والأحزان والغيرة والجشع والشكوك والمكر والمجاعة والحقد وكل أنواع الحشرات المشئومة، فتغطي السماء، وتطير محلِّقةً هنا وهناك مع طنينها المزعج، ومنذ ذلك الوقت، فُرض على البشر أن يتعذَّبوا في التعاسة، ولكن، في ركنٍ من ذلك الصندوق، بقي حجر صغير لامع في حجم بذرة الخشاش، وكُتب على ذلك الحجر بحروف دقيقة كلمة «الأمل».

٢

إن الأمر مقرَّر منذ قديم الزمان. من المستحيل أن يتملك اليأس من البشر. يُخدع البشر من الأمل على الدوام، ولكن على الجانب الآخر يحدث أن يُخدعوا أيضًا بنفس الطريقة من فكرة «اليأس». لنتحدث بصدق، إن الإنسان وهو غارق لأذنيه في قاع التعاسة متمرغًا في الوحل، يظل يبحث في كل الأوقات بيديه على خيط لبصيص من الأمل. وهذه الحقيقة قرَّرتها آلهة الأوليمب منذ وقت صندوق باندورا. تسير سفينة عصرنا الجديد إلى الأمام بسلاسة متقدمةً بخطوة تاركةً بتعمُّد الناس الذين يُظهرون حماسًا وروحًا عالية على الشاطئ مستمرين

في الخطابة بعصبية عن أمور عديدة مثل التفاؤل والتشاؤم. ما من ازدحام مطلقًا. وكأن هذا مثل امتداد نبات اللبلاب، حيث يتغلَّب انتحاء الشمس الطبيعي على الإرادة.

دعنا الآن من طريقة قول المغرورين الذين يُلقون باللوم على الناس جميعًا ويتعاملون معهم على أنهم خونة. إن ذلك يجعل هذا العالم التعيس أكثر كآبةً فقط. أليس من يلوم الآخرين هو أكثر من يفعل الشرور سرًّا؟ سيكون من حسن الحظ إذا انعدم وجود سياسيين يفكِّرون في حبك مؤامرات بارعة إلى حد ما، ولكن أتمنى من الناس أن تنتبه حقًّا فلا تندفع وتتسرَّع وراء التلفيق والتدليس للتملُّص الموقت بحجة الهزيمة في الحرب هذه المرة؛ لأن مثل هذا التبرير الضحل هو سبب فشل اليابان حتى الآن. وإن كرَّرنا ذلك الفعل مرةً ثانية ربما سنكون أضحوكة العالم. يجب علينا أن نكون أكثر بساطةً وتلقائية بلا غرور. لقد انزلقت الباخرة الجديدة الصنع إلى البحر بالفعل.

مع ذلك حتى أنا عانيت معاناةً شديدة حتى الآن. فكما تعلم، في ربيع العام الماضي ومع تخرُّجي من المدرسة المتوسطة، أُصِبت بحُمَّى أدت إلى التهاب رئوي، وبسبب رقودي في الفراش لمدة ثلاثة أشهر لم أستطع حضور اختبار الالتحاق بالمدارس الثانوية، وبعد أن استطعت النهوض والمشي على قدمي بشكل ما، استمرت الحمى بدرجة خفيفة، وقال الطبيب لي إنه ثمة شكًّا في التهاب ذات الجنب، وأثناء معيشتي في البيت بلا هدف، فات موعد اختبار هذا العام أيضًا، وكنتُ قد فقدتُ وقتها رغبتي في مواصلة الدراسة لمرحلة أعلى. وأضحى المستقبل أمامي ظلامًا دامسًا، فلم أدرِ ماذا أفعل والحال هكذا، وشعرت بالأسف تجاه أبي بسبب وجودي في البيت بلا هدف، وكذلك شعرت أن وضعي السيئ أمام أمي ليس عاديًّا. ربما لم تخُض أنت تجربة البطالة بلا دراسة ولا عمل، إنها جحيم حقيقي ومؤلم. قضيت ذلك الوقت في قلع الحشائش من الحقل فقط. وكنت أحاول إعادة الاعتبار إلى وضعي من خلال تقليد الفلاحين. وكما تعلم، فخلف بيتنا حقل يبلغ مساحته قيراطين تقريبًا. ولسبب مجهول كان ذلك الحقل مسجلًا منذ زمن باسمي. ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد، ولكنني بمجرد أن أضع قدمي داخل ذلك الحقل، أشعر براحة كبيرة وكأنني تحررتُ قليلًا من الأثقال والضغوط التي من حولي. لقد صرتُ خلال هذا العام أو العامين وكأنني المسئول عن هذا الحقل؛ أقلع الحشائش، ثم أعيد حرث التربة حريصًا على ألَّا تلمس جسمي، وأصنع جبيرةً خشبية للطماطم، وأنا أفكِّر أن ذلك ربما يساعد قليلًا في زيادة المواد الغذائية، فكنتُ أحتال بقضاء كل يوم بيومه، ولكن يا عزيزي ثمة كتلة من القلق تشبه الغيوم السوداء قابعةً في قاع صدري لا تفارقه ولا يمكن الاحتيال عليها. أفكِّر ماذا سيكون

عليه حالي إذا واصلت حياتي بهذه الطريقة؟ لن أصل إلى شيء، ولكن أليس هذا هو «شُرَّابة الخرج»؟ وعندما أفكِّر هكذا أصاب بالذهول، ولا أدري ماذا يمكنني عمله. ولم أستطع احتمال عذاب التفكير أن حياتي بهذه الطريقة ليس لها معنًى ولا تُسبِّب إلا الإزعاج فقط للآخرين. ولا يمكن لطالب نجيب مثلك أن يفهم هذا الشعور، ولكن ما من شعور في هذا العالم أقسى من أن يشعر الإنسان أنه «عالة وأن حياته لا تسبِّب إلا الإزعاج للآخرين».

٣

ولكن أثناء استمراري في الشعور بتلك المعاناة البليدة التليدة المدللة، كانت طواحين هواء العالم تدور دورانًا سريعًا لا يتوقف. أُبيدت النازية في أوروبا إبادةً تامة، وفي شرق أسيا توالت المعارك؛ معركة جزر الفلبين ثم معركة أوكيناوا، ثم القذف الجوي الأمريكي لأراضي الداخل الياباني، إنني لا أفهم الإستراتيجية العسكرية للجيش مطلقا، ومع ذلك فأنا أملك قرون استشعار شابة وحساسة. وأستطيع الثقة في تلك القرون تمامًا. إن تلك القرون تشعر سريعًا بأية أزمة أو كآبة تُصاب بها البلاد، وما من سبب منطقي لذلك. مجرد حدس فقط. منذ بداية هذا الصيف، التقطَت قرون استشعاري الشابة تلك، أصوات طوفان مد بحري هائل بدرجة لم يسبق لها مثيل من قبل، فارتعشتُ، ولكن لم يكن بيدي أي حيلة. كنتُ فقط في اضطراب عظيم، فاجتهدت بكل طاقتي في الزراعة. تحت أشعة الشمس الحارقة، أضرب بفأسي الثقيل تربة الحقل وأنا أئن وأتلوى، فأحرث الحقول وأغرس شتلات البطاطا الحلوة. والآن لا أدري مطلقًا لماذا واصلت العمل في الحقل كل يوم بهذا العنف. وثمة أيام واصلت تكرار قول «مُت! ألَا تموت! مت! ألَا تموت!» وأنا أتأوه بصوت منخفض في كل مرة أضرب الأرض بفأسي، بمشاعر اليأس والرغبة في إيلام هذا الجسد العديم الجدوى إيلامًا شنيعًا بكل ما فيَّ من قوة واندفاع. وبهذا غرست ستمائة شتلة من شتلات البطاطا الحلوة.

عليك أن تستريح قليلًا من عمل الحقل؛ فهو فيه استحالة بالنسبة لك بجسدك هذا!

قال لي أبي ذلك عندما كُنا نتناول وجبة العشاء، ثم في منتصف ليل اليوم الثالث لهذا الكلام، حينما كنتُ بين اليقظة والنوم، أخذتُ أسعل سعالًا شديدًا، وثمة صوت غريب يرتفع أثناء ذلك من صدري. آه خطر! انتبهت فصحوت من نومي، وكنتُ أعرف من خلال كتاب قرأته، أن قبل التقيؤ دمًا، يخرج من الصدر صوت غريب. وعندما انحنيت على بطني حدث دفعةً واحدة. أسرعت بالجري جريًا خفيفًا إلى المرحاض وفمي ممتلئ بشيء له رائحة زفرة كريهة. وكما هو متوقع كان دمًا. وقفت في المرحاض لوقت طويل ولكن لم يخرج

دم أكثر من ذلك. ذهبت إلى المطبخ بخطوات متسلِّلة وتمضمضت بماء وملح ثم غسلت وجهي ويديَّ وعدتُ إلى فراشي. وحاولت أن أتنفس ببطء لكيلا يخرج السعال مني، ونمت في هدوء. كنت لا أبالي لدرجة تثير الدهشة، بل لدرجة أنني أحسست أني كنتُ أنتظر مثل هذه الليلة منذ زمن طويل. وخطر على ذهني كلمة أمنية «حياتي». وقرَّرت أن أواصل غدًا العمل صامتًا في الحقل. ما باليد حيلة؛ فأنا إنسان ليس لي هدف آخر أحيا من أجله. يجب أن أعرف حدودي. آه، في الحقيقة من الأفضل لي أن أموت بأسرع ما يمكن، اليوم قبل غدًا. من الأفضل أن أستغل جسدي استغلالًا شديدًا في العمل البدني لكي أُساهم في زيادة إنتاج المواد الغذائية ولو بقدر ضئيل جدًّا، ثم أودِّع هذه الحياة للتقليل من أعباء الوطن. وهذا هو الطريق الوحيد لمن كان مريضًا مثلي وبلا فائدة. آه، أتمنى لو أموت بأسرع ما يمكن.

ثم في صباح اليوم التالي، استيقظت مبكرًا عن المعتاد بأكثر من ساعة، ورتَّبت فراشي سريعًا وخرجت للحقل دون تناول الطعام، ثم عملت في الحقل بجد واجتهاد شديدَين. وعندما أتذكَّر ذلك الآن كأنني أرى كابوسًا للجحيم. وبالطبع كنت أنوي ألَّا أعترف لأحد بأمر مرضي حتى الموت. أنوي أن أجعل حالة المرض تسوء بسرعة في الخفاء دون أن أُخبر أحدًا. من المؤكد أن هذه المشاعر هي حقًّا ما يُطلق عليها أفكار السقوط! في تلك الليلة تسلَّلت في الخفاء إلى المطبخ وملأت كوبًا على آخره بخمر الشوتشو الذي يوزَّع مع مواد التموين أثناء الحرب وشربته. ثم في وقت متأخِّر من الليل تقيأت دمًا مرةً أخرى. استيقظت فجأةً وبعد أن سعلت سعالًا خفيفًا مرتين أو ثلاث مرات جاء الدم دفعةً واحدة. ولكن هذه المرة لم أجد متسعًا من الوقت للذهاب إلى المرحاض، ففتحت الباب الزجاجي، وقفزت حافيًا إلى الحديقة وتقيَّأت. ارتفعت الدماء الغزيرة سريعًا في حنجرتي، فشعرت أن الدماء تنزف من عينَي وأذنَي أيضًا، ثم توقفت الدماء بعد أن تقيأت ما مقداره كوبان كبيران تقريبًا. دفنت الدماء التي تقيأتها في الأرض بقطعة خشبية، وجعلته لا يظهر. وفي لحظة انتهائي من ذلك دقت صافرات الإنذار بهجوم جوي، وكان ذلك آخر هجوم جوي ليلي في اليابان، كلا وبل في الحرب العالمية كلها. وإذ خرجت مترنحًا من الملجأ بمشاعر مبهَمة، وجدتُ شمس صباح الخامس عشر من أغسطس إياه قد أشرقت متألقةً زاهية.

٤

ولكن وكما هو متوقَّع خرجتُ للعمل في الحقل في ذلك اليوم أيضًا. وعندما تسمع ذلك حتى أنت من المؤكد أنك ضحكت ضحكةً متكلَّفة. ولكن يا عزيزي لم يكن الأمر مضحكًا بالنسبة

لي على الإطلاق، بل لقد كنتُ أشعر حقًّا أنه ما من موقف آخر يمكنني أن أتخذه في ذلك الوقت إلا هذا. لم يكن بيدي أي حيلة أخرى. أليس من المفترض أنني في نهاية طريق طويل من التفكير والحيرة، قررتُ الموت بصفتي فلاحًا! كانت أمنية حياتي الحقيقية أن أسقط صريع الموت بهيئة الفلاح فوق التربة التي حرثتها بيدَي. كلا، بل إنني أريد الموت بأقصى سرعة بغض النظر عن أي شيء. ثم جاءت أمي لاستدعائي بينما كنت نائمًا وسط زرع نباتات البقول وقد أوشكتُ على الإغماء بعد أن تخطَّيت مرحلة المعاناة من الدوار ورعشة البرد والعرق البارد اللزج. طلبَت مني أن أغسل يدَي وقدمَي وأذهب في الحال إلى غرفة أبي. كان وجه أمي التي تبتسم دائمًا أثناء التحدث، بملامح مهيبة صارمة وكأنها شخص آخر.

أُجلِست أمام المذياع في غرفة أبي، ثم في منتصف الظهيرة بكيتُ وأنا أسمع صوت جلالته السماوي. غسلَت الدموع وجهي، وأضاءت أشعة عجيبة جسمي وكأنني أخطو في عالم جديد تمامًا، أو أركب سفينةً كبيرة تهتز، وعندما انتبهتُ وجدتني إنسانًا مختلفًا عن السابق!

ولن أتيه بنفسي فخرًا وأقول إنني وصلتُ لأن أدرك أن الموت والحياة وجهان لعملة واحدة، ولكن، أليس الموت والحياة حقًّا نفس الشيء؟ أيًّما اخترت منهما، فالمعاناة واحدة. أكثر من يستعجلون بالموت يكونون منافقين متصنعين. ولم تكن معاناتي حتى الآن إلا جهدًا مني في محاولة للتميُّز والاختلاف. فلنكفَّ حقًّا عن النفاق والتصنع اللذين فات أوانهما. لقد ذكرتَ في رسالتك كلمة «القرار المؤلم» بالنسبة لي أنا الآن، كلمة مؤلم تبدو لي وكأنها تشبه ملامح ممثل وسيم محطِّم قلوب العذارى في مسرحية رخيصة. إنها بالفعل ملامح كاذبة خادعة، ناهيك على أن تكون مؤلمة. غادرت السفينة رصيف الميناء ببطء. ومن المفترض أن إبحار السفينة يُسفر عنه بالضرورة بوادر أمل خافت. لقد تخلَّصت من الاكتئاب، ولم أعد أهتم بمرض صدري. لقد وقعتُ في حيرة شديدة عندما تسلَّمت منك تلك الرسالة التي تطفح بمشاعر التعاطف. إنني الآن عازم على أن أُسلم نفسي لتلك السفينة دونما تفكير.

في نفس ذلك اليوم بُحت فورًا لأمي بكل شيء. بُحت لها وأنا في حالة من الهدوء والسكينة أدهشتني أنا شخصيًّا: لقد تقيَّأت دمًا ليلة أمس، وكذلك الليلة التي سبقتها.

بلا سبب، فلم أشعر فجأةً بالتشبث بالحياة، فقط مجرد أن الادعاء العنيد الذي كان موجودًا حتى أمس قد اختفى.

لقد اختار لي أبي «صالة الألعاب الصحية» هذه. وكما تعلم فأبي أستاذ جامعي في علم الرياضيات. ربما كان بارعًا في حساب الأرقام، ولكنه يبدو أنه لم يسدِّد حساب فاتورة بنفسه ولو مرةً واحدة من قبل. ولأننا فقراء دائمًا، فلا يجب أن أطلب رعايةً طبية مرفهة. وحتى لهذا السبب فقط تُعد «صالة الألعاب الصحية» المتواضعة هذه مناسبةً لي تمامًا؛ فأنا لا أشكو من أي شيء. وقيل لي إنني سأُشفى تمامًا خلال ستة أشهر. ولم أتقيأ دمًا مطلقًا بعد ذلك، ولا حتى بصقت بلغمًا مختلطًا بالدم. لقد نسيت أمر مرضي تمامًا. ومدير صالة الألعاب الصحية هذه يقول إن «نسيان المرض» هو أسرع طريق للشفاء الكامل. إنه إنسان غريب الطبع قليلًا. أُطلِق اسم «صالة الألعاب الصحية» على مصحة تعالج مرضى السل، واستطاع معالجة نقص الغذاء والدواء أثناء الحرب، واكتشف طريقةً خاصة لمحاربة المرض وشجَّع وساعد العديد من المرضى حتى الآن. في كل الأحوال إنها مستشفى غريبة. هناك الكثير والكثير من الأمور الشائقة، ولكن سأؤجل الحديث عنها بتأنٍّ للمرة القادمة.

ما من داعٍ مطلقًا لأن تقلق بشأني. تحياتي. اعتنِ بصحتك أنت أيضًا.

٢٥ أغسطس ١٩٤٥م

صالة الألعاب الصحية

١

هذا اليوم سأحكي لك كما وعدتك عن صالة الألعاب الصحية التي أُقيم فيها حاليًّا. تركب باص من مدينة إيـ... لمدة ساعة وتنزل في مكان اسمه جسر كوميه وتغير هناك لباص آخر، ولكن المسافة قصيرة بين جسر كوميه وصالة الألعاب؛ فالذهاب إليها مشيًا أسرع من انتظار الباص الآخر. تزيد المسافة عن كيلومتر واحدا بقليل فقط. وأغلب من يأتي إلى صالة الألعاب يمشي تلك المسافة. إنك إذا مشيت كيلومترًا متجهًا جنوبًا من جسر كوميه على طريق الأسفلت الرئيس وأنت ترى سلسلة الجبال على يمينك، فستجد بوابةً صغيرة مصنوعة من الحجر تحت سفح الجبل، ومن هناك تتواصل أشجار الصنوبر حتى بطن الجبل، وعند نهاية أشجار الصنوبر تلك سترى سطحَي مبنيين. وهذه هي مصحة السل الغريبة الأطوار جدًّا التي تُسمى «صالة الألعاب الرياضية» والتي أتلقَّى فيها العلاج حاليًّا، وهي تنقسم إلى عنبرين؛ جديد وقديم. العنبر القديم ليس بهذه الدرجة، ولكن العنبر الجديد عنبر مشرق وفي منتهى الأناقة والرقي. والقاعدة العامة أن الأشخاص الذين تراكمت تدريباتهم بدرجة ملائمة في العنبر القديم، ينُقلون إلى العنبر الجيد، ولكن بسبب أنني كنتُ في صحة جيدة وُضعت بصفة خاصة في العنبر الجديد من البداية. وغرفتي تقع مباشرةً على يمين مدخل العنبر الأمامي وتسمى «غرفة الكرز». وغرف المرضى أسماؤها جميلة لدرجة تبعث على الخجل قليلًا؛ مثل «غرفة أوراق الشجر اليانعة»، و«غرفة البجع»، و«غرفة عباد الشمس» ... إلخ.

تبلغ مساحة «غرفة الكرز» عشرين مترًا مربعًا تقريبًا، وهي غرفة على الطراز الغربي في شكل مستطيل، يتراص بها أربعة أسرة متينة مصنوعة من الخشب وتتجه وسائدها نحو

الجنوب، ويقع سريري في عمق الغرفة تحت النافذة الزجاجية الكبيرة المُطلة على الجنوب، وثمة بركة بمساحة ثلاثمائة وثلاثين مترًا مربعًا تقريبًا، تُسمى «بركة العذراء» (نوعًا ما لم أنبهر بهذا الاسم)، رائقة وشفافة دائمًا لدرجة يمكن رؤية أسماك الشبوط القاسي والسمك الذهبي تسبح داخلها بوضوح؛ أي إنني ليس لديَّ شكوى من موقع سريري، وربما يكون أفضل موقع على الإطلاق. والسرير مصنوع من الخشب ومساحته هائلة وليس به ذلك الزنبرك الرخيص؛ ممَّا يجعله على العكس موضع ثقة، وعلى جانبَيه أدراج ورفوف كثيرة، بقيت به أدراج شاغرة حتى بعد أن وضعت فيها كل ما يتعلق بي من أشياء وأدوات.

دعني أعرِّفك على زملائي الأقدم مني في الغرفة؛ بجواري مباشرةً السيد ماتسوئمون أوتسُكي، وهو كما يدل اسمه، رجل في منتصف العمر، كريم الصفات عظيم الهيئة، وهو صحافي في إحدى الصحف بطوكيو، فقد زوجته في وقت مبكر وهو الآن يعيش مع ابنته الوحيدة التي في عمر الزواج، وابنته كذلك تركت طوكيو وتسكن في بيت جبلي قريب من صالة الألعاب الصحية وتأتي كثيرًا لزيارة والدها لكيلا يشعر بالوحدة. ووالدها متجهِّم الوجه في أغلب الأوقات، إنه في العادة قليل الكلام، ولكنه أحيانًا يتحوَّل فجأةً إلى رجل صارم لدرجة مرعبة، ولكنه يتصف عادةً بالنبل والنقاء. ويبدو أنه به بعض الميل إلى العزلة، ولكنني ما زلت لا أفهم الأمر جيدًا. له شارب عظيم بلون أسود فاحم، ولكن يبدو أنه ضعيف النظر جدًّا لدرجة أن عينيه الصغيرتين الحمراوين تطرفان بشدة خلف النظارة. لا تتوقف حبات العرق عن التجمع على أرنبة أنفه الدائرية فيحكُّها بمنشفة، وبسبب ذلك كانت أنفه شديدة الاحمرار لدرجة تبدو وكأنها ستنزف دمًا في التو والحال. ولكنه له هيبة وصرامة عندما يُغمض عينيه ويفكر في شيء ما. ربما كان إنسانًا عظيمًا على غير ما يبدو، ونسميه هنا أسد إتشيغو. وأنا لا أعرف أصل ذلك الاسم، إلا أنني أشعر أنه يتوافق معه بالضبط. ويبدو أن السيد ماتسوئمون نفسه لا يكره ذلك الاسم. وثمة نظرية تقول إنه هو الذي طلب منهم مناداته بذلك الاسم، ولكن لا يتضح هذا الأمر جيدًا.

٢

وبجواره السيد سيشيتشي كينوشيتا الجصَّاص، أعزب في الثامنة والعشرين من عمره، أوسم رجل في صالة الألعاب الصحية، بشرته ناصعة البياض وأنفه سامقة وعيناه صافيتان تليقان برجل وسيم. ليته يكف عن طريقته تلك في المشي؛ إذ يمشي على أطراف أصابعه ومؤخرته تهتز يمينًا وشمالًا. تُرى لمَ يسير بتلك الطريقة؟! هل يظن أنها طريقة مشي

موسيقية؟ أمر لا يمكن فهمه. ويبدو أنه يعرف كثيرًا من الأغاني الرائجة، ولكن أكثر ما يُحسنه هي أغاني «دودويتسو». ولقد أسمعني بالفعل خمس أو ست أغاني منها. كان السيد ماتسوئمون يستمع في صمت مغمض العينين، ولكنني كنتُ لا أستطيع السماع وأنا هادئ البال. كلمات أغاني غبية لا معنى لها مثل «أنا أنوي أن أدخر أموالًا كثيرة في حجم جبل فوجي ثم لا أستخدم منها إلا نصف ين كل يوم»، لا تسبب إلا الانزعاج فقط. وفوق ذلك، كانت أغاني دودويتسو الشاكية شنيعة. يدخل في كلماتها ما يشبه حوارًا مسرحيًّا. شيء بشع لا يمكنني الاستماع إليه؛ مثل: مهلًا يا أخي كذا وكذا! ولكنه لا يغني منها أكثر من أغنيتين متتابعتين في المرة الواحدة. هو يريد أن يغنِّي أكثر ولكن السيد ماتسوئمون لا يسمح له؛ فعندما ينتهي من أغنيتين يفتح أسد إتشيغو عينَيه ويقول له كفى. وأحيانًا ما يُضيف أن ذلك يؤذي الجسم. ولم يفسِّر أيعني أن الغناء سيؤذي المغني، أم سيؤذي المستمع؟ ولكن السيد سيشيتشي ليس رجلًا شريرًا البتة. يقول إنه يحب الهايكو، وقبل النوم يعرض على السيد ماتسوئمون العديد من الهايكو الحديث ويسأله عن انطباعه، ولأن أسد إتشيغو لا يرد ولا ينطق بحرف، يصاب السيد سيشيتشي بالإحباط ويسرع في النوم، وعندها يصعب عليَّ حاله. إن السيد سيشيتشي يحترم ويبجِّل أسد إتشيغو. اسم شهرة ذلك الرجل الأنيق هو كابُّوريه.[1]

ويليه السيد كازو نيشيواكي، وسمعت أنه يشغل منصب رئيس مكتب بريد أو شيئًا من هذا القبيل، ويبلغ من العمر ٣٥ عامًا. وهذا الرجل أكثر شخص أحبه. تأتي لزيارته من حين لآخر زوجته الضئيلة الحجم وتبدو في منتهى الهدوء، ثم يتبادل الاثنان حوارًا هامسًا. مشهد في منتهى الحميمية. ومراعاةً لهما، يجتهد كلٌّ من كابُّوريه وأسد إتشيغو لكيلا ينظرا إليهما، وأعتقد أن ذلك كان سلوكًا رائعًا منهما. وكان اسم شهرة السيد نيشيواكي هو ذيل الحصان، تُرى هل لأنه طويل ونحيف؟ إنه ليس وسيمًا ولكنه دمث الخلق، يشبه الطلاب إلى حد ما، وابتسامته الخجولة ساحرة، وأحيانًا كنتُ أتمنى لو كان هذا الرجل هو الذي بجواري، ولكن لأنه يُصدر صوتًا غريبًا في وقت متأخر من الليل ويئن أنينًا مزعجًا، كنتُ أقول من الجيد إنه لم يكن بجواري، وبهذا أنتهي من زملائي القدامى في الغرفة، وبعد

[1] كابُّوريه اسم رقصة شعبية تقليدية في اليابان تُمارَس في المهرجانات والاحتفالات، وهي رقصة كوميدية ساخرة يُحرِّك فيها الراقص ساقَيه بطريقة غريبة، وهي هنا إشارة إلى طريقة مشي سيشيتشي الغريبة التي وصفها المؤلف في بداية التعريف به. (المترجم)

ذلك أقدِّم لك شرحًا مبسَّطا عن الحياة العلاجية ذات الطبيعة الخاصة لصالة الألعاب؛ أولًا سأكتب جدول المواعيد اليومية.

٦:٠٠	الاستيقاظ
٧:٠٠	وجبة الإفطار
٨:٠٠–٨:٣٠	تمارين الانحناء والتمدد
٨:٣٠–٩:٣٠	تدليك
٩:٣٠–١٠:٠٠	تمارين الانحناء والتمدد
١٠:٠٠	مرور مدير الصالة (يوم الأحد مرور الموجه فقط)
١٠:٣٠–١١:٣٠	تدليك
١٢:٠٠	وجبة الغداء
١:٠٠–٢:٠٠	محاضرة (يوم الأحد برنامج إذاعي ترفيهي)
٢:٠٠–٢:٣٠	تمارين الانحناء والتمدد
٢:٣٠–٣:٣٠	تدليك
٣:٣٠–٤:٠٠	تمارين الانحناء والتمدد
٤:٠٠–٤:٣٠	طبيعة
٤:٣٠–٥:٣٠	تدليك
٦:٠٠	وجبة العشاء
٧:٠٠–٧:٣٠	تمارين الانحناء والتمدد
٧:٣٠–٨:٣٠	تدليك
٨:٣٠	تقارير
٩:٠٠	نوم

٣

وكما أخبرتك منذ فترة، من المؤكد أن العديد من المستشفيات احترقت أثناء الحرب، وإن لم يكن الحرق، فقد أغلقت مستشفيات كثيرة أبوابها بسبب نقص الموارد أو نقص الأيدي العاملة؛ ولذا فقد الكثير من مرضى السل الذين يحتاجون الإقامة في المستشفيات للعلاج، وبصفة خاصة المرضى غير الأغنياء مثلنا المأوى. ومن حسن الحظ لم تقترب مقاتلات

العدو من هذه المنطقة تقريبًا، وحصلت المصحة على دعم مادي لفترة من السلطات بناءً على تجمع من عدد من العائلات المُحسنة القوية في الإقليم، فأُضيف عنبر جديد لعنبر المصحة الأصلي التي كانت تتبع المحافظة، الواقعة في بطن الجبل ودُعِي الدكتور تاجيما المدير الحالي، وأنشئت هنا مصحة لعلاج السل ذات صفة خاصة لا تعتمد على التمويل. أولًا بمجرد إلقاء نظرة سريعة على جدول المواعيد أعتقد أنك ستفهم أنها تختلف اختلافًا كبيرًا جدًّا عن مصحات علاج السل المعتادة؛ فهي مهيأة للتخلي عن فكرة المستشفى أو المرضى.

مدير المستشفى يُسمَّى مدير الصالة، وباقي الأطباء بدايةً من نائب المدير يُسمَّون مُوجِّهين، والممرضات مساعدات، أما نحن المرضى فنُسمى طلابَ مدرسة تأهيلية. ويبدو أن كل ذلك من ابتكار د. تاجيما مدير الصالة. بعد أن دُعي الدكتور تاجيما إلى هذه المصحة حدَّث بعضًا من آلياتها الداخلية، وطبَّق على المرضى طريقة علاج متفردة، فحقَّق نتائج باهرةً جعلته محط اهتمام عالم الطب كله. إنه أصلع الرأس تمامًا فيبدو في الخمسين تقريبًا من العمر، ولكنه مع ذلك في الثلاثينيات فقط وما زال أعزب، عابس الوجه لا يضحك، نحيف الجسم طويل القامة، ظهره منحنٍ للأمام قليلًا. في الغالب يكون الشخص أصلع الرأس متناسق الوجه، ولكن د. تاجيما يملك ملامح وجه تقليدي عبارةً عن أنف وعينين فوق بيضة. ثم وذلك أيضًا من الصفات المميزة لأصلع الرأس، ذي شخصية سلبية صعبة التعامل، مثل المشهور عن القطط مثلًا، مخيف قليلًا. في العاشرة صباحًا من كل يوم يمر ذلك المدير على غرف الصالة مرافقًا للموجهين والمساعدات، وأثناء ذلك يسيطر السكون على الصالة بأكملها. وحتى الطلاب جميعًا يُصبحون وُدَعاء بدرجة مخيفة أمام هذا المدير، ولكنهم يطلقون عليه اسم شهرة في الخفاء؛ يسمونه كيوموري.[٢]

حسنًا دعني الآن أشرح لك بتفصيل قليل جدول مواعيد هذه الصالة؛ تمارين الانحناء والتمدد تعني باختصار تدريبات لعضلات البطن والساقين والذراعين. وإن كتبتُ عنها بأدق التفاصيل سيُصيبك ذلك بالملل؛ لذا سأذكر فقط الخطوط العريضة لها بشكل تقريبي، ننام على الظهر فوق السرير مفرودي الساقين والذراعين، ونبدأ تدريبات أصابع اليدين ثم الرسخ ثم الذراع بالترتيب، ثم بعد ذلك نسحب البطن وننفخه، وهذا الجزء

[٢] تايرا نو كيوموري (١١١٨–١١٨١م): أحد كبار القادة العسكريين في اليابان في عصر هييان، ويُعَد أول ساموراي في اليابان يحكم اليابان كقائد عسكري حكمًا مستبدًّا بعد أن أضعف سيطرة الإمبراطور. (المترجم)

الأصعب في التمرين وهو أيضًا الجزء الأهم في تمرينات الانحناء والتمدد، بعد ذلك تمرينات الساقين، نشد عضلات الساقين ونُرخيها بطرق متعددة، وبذلك تنتهي تمرينات الانحناء والتمدد في الأغلب. وإذا انتهت نكرِّر مرةً ثانية بداية من تمرينات اليدين، يجب أن نستمر في ذلك التمرين ما دام هناك وقت لمدة نصف ساعة. ونعمل هذه التمرينات، كما ذكرت في جدول المواعيد من قبل، مرتين في الصباح وثلاث مرات بعد الظهر كل يوم؛ فهو ليس أمرًا سهلًا مطلقًا. لو تحدَّثنا من وجهة نظر الطب المعتاد حتى ذلك الوقت، فالبديهي أن ثمة خطورةً شديدة من قيام مريض السل بمثل هذه التدريبات الرياضية الشاقة، ولكنها إحدى طرق العلاج الحديثة التي تولَّدت خلال الحرب بسبب نقص الموارد المادية. في هذه الصالة، لا شك أن كل من اجتهد في عمل هذه التمرينات كان الأسرع في الشفاء.

بعد ذلك سأكتب قليلًا عن التدليك، وهو أيضًا صفة مميزة لهذه الصالة، وهنا الدور الأساسي يقع على عاتق المساعِدات المرحات.

٤

الفرشاة التي تُستخدم في التدليك تشبه الفرشاة التي تُستخدم عند حلَّاقة الشعر ذات الشعر الخشن بعد أن بُدل بشعرها شعر ألين قليلًا جدًّا؛ ولذلك في البداية عندما يُدلك بها المرء يشعر بألم شديد، بل لدرجة أحيانًا تتولد في أنحاء البشرة هنا وهناك بثرات نتيجة التدليك. ولكن في الأغلب يتعوَّد الإنسان عليها خلال أسبوع تقريبًا.

عندما يأتي وقت التدليك، تدور المساعِدات المرحات اللائي سبق ذكرهن على الغرف تبعًا لترتيب كل واحدة منهن ويدلكن جميع الطلاب بالترتيب. تضع المساعدة منشفةً مطوية في طست معدني صغير وتملؤه بالماء ثم تدفع تلك المنشفة في الفرشاة فتبلِّلها ثم تبدأ التدليك باجتهاد بالفرشاة فقط. في الأسبوع الأول بعد دخول الصالة تُدلك الأطراف الأربعة فقط، ثم بعد ذلك تدلك الجسم كله. ننام على الجانب فتدلك الذراع أولًا ثم يتبعه الساق والصدر والبطن، ثم نغير اتجاه النوم، وتدلك الجانب الآخر؛ الذراع والساق والصدر والبطن والظهر ثم الظهر والخصر. وبعد التعود يكون التدليك متعةً عظيمة، وخاصةً وقت تدليك الظهر لا يمكن التعبير عن مدى تلك المتعة، ولكن ثمة مساعِدةً ماهرة ومساعدة غير ماهرة.

ولكن سأؤجل الكتابة عن المساعِدات فيما بعد.

ويمكن القول إن الحياة في صالة الألعاب تنقسم إلى تمرينات الانحناء والتمدد والتدليك فقط. وحتى بعد انتهاء الحرب، لم يتغير أمر نقصان المواد والبضائع؛ فليس سيئًا أن نُظهر

عزيمة محاربة المرض بمثل هذا الأمر لمدة من الزمن أليس كذلك؟ وغير ذلك محاضرة من الساعة الواحدة بعد الظهر، والطبيعة الساعة الرابعة، والتقارير الساعة الثامنة والنصف. المحاضرة عبارة عن أن مدير صالة الألعاب والموجِّهين وغيرهم من المشاهير الذين يأتون لزيارة ميدانية للصالة من جميع المجالات في المجتمع، يتبادلون الأحاديث عبر مكبِّر الصوت، فيتم إيصالها من خلال السماعات المنتشرة في الأماكن الهامة في ممرات صالة الألعاب خارج الغرف، فتدخل إلى غرفنا ونسمعها ونحن جالسون صامتين على أسرتنا.

وأثناء الحرب أُوقفت تلك المحاضرات لأن السماعات لا تعمل بسبب نقص الكهرباء، ولكن بعد انتهاء الحرب، في اللحظة التي سُمح فيها باستخدام الكهرباء عادت تلك المحاضرات على الفور للانعقاد. كان مدير صالة الألعاب في تلك الفترة يواصل إلقاء محاضرات في موضوع يمكن أن نُطلق عليه تاريخ النهضة العلمية في اليابان. هل يمكن أن نقول إنها كانت محاضرات ذكية، كان يتحدث بطلاقة وإيجاز شارحًا بوضوح معاناة أسلافنا القدامى. وأمس تحدث عن كتاب «بداية دراسة العلوم الغربية باستخدام اللغة الهولندية» للعالم غِنباكو سوغيتا، وكان شرحًا جيدًا جدًّا عن بداية فتح غِنباكو ورفاقه الكتب الغربية للمرة الأولى، وحيَّرتهم في كيفية ترجمة تلك الكتب بالقول: «وكأنها عبارة عن إبحار في محيط عملاق بدون دفة ودون وجود مكان يمكن الاعتماد عليه، مجرد حيرة تليها حيرة!» لقد تعلمت أنا أيضًا عن معاناة غِنباكو ورفاقه من الأستاذ غانمو كياما معلم التاريخ في المدرسة المتوسطة، ولكن شعرتُ باختلاف كامل معه وكأنه حدث آخر.

لقد كان غانمو يقول أشياء مملةً عن غِنباكو مثل إن وجهه كان دميمًا جدًّا بسبب الجدري ... إلخ. وعلى أي حال، لقد كانت محاضرات مدير هذه الصالة كل يوم، بالنسبة لي، في منتهى الإمتاع؛ ويوم الأحد بديلًا عن المحاضرة تُذاع أسطوانات. إنني لا أحب الموسيقى حبًّا جامًّا، ولكن ليس من السيئ الاستماع إليها مرةً واحدة في الأسبوع. وأحيانًا ما تذيع إحدى المساعِدات أغنيةً بصوتها الحي بين الأسطوانات، وسماع ذلك ممتع، أو بالأصح كان يجعلني غير مستقر البال. ولكن يبدو أن ذلك كان أكثر ما يرحِّب به باقي طلاب الصالة. يستمع السيد سيشيتشي وهو يضيق عينيه من السعادة. وأعتقد أنه كانت لديه رغبة لا يحتمل الصبر عليها في أن يذيع بصوته أغاني دودويتسو التي تحتوي على التذمر.

٥

أما الطبيعة في الساعة الرابعة بعد الظهر فكانت وقت الراحة؛ في ذلك الوقت، يبدو أنهم يعطوننا مدة نصف الساعة وقت حر وكأنهم يقولون ما معناه إن درجة حرارة أجسامنا

ترتفع لأعلى مستوًى لها، ويشعر الجسم بالإرهاق، ومشاعرنا مستاءة ووجوهنا متجهمة ويكون الوضع عذابًا؛ لذا عليكم أيها الطلاب قضاء فترة نصف الساعة تلك في عمل ما يحلو لكم، ولكن أغلب الطلاب يرقدون خلال ذلك الوقت فوق الأسرَّة في هدوء وسكينة فقط. وبالمناسبة أقول إن النوم على السرير في صالة الألعاب هذه باستخدام الغطاء ممنوع منعًا باتًّا باستثناء النوم أثناء الليل. وفي النهار نتقيَّل فوق الأسرَّة مرتدين المنامات كما هي فقط دون أن نتغطَّى بالأغطية مطلقًا، وعندما تعتاد على ذلك تشعر بالنظافة وتكون على العكس مستمتعًا. أما التقارير في الثامنة والنصف ليلًا فهي تقارير يومية عن أحداث العالم في ذلك اليوم. وكما هو متوقع تأتينا من سماعات الردهات أنباء متنوعة بصوت الموظف المناوب بنبرة متوترة توترًا رهيبًا؛ ففي صالة الألعاب هذه، ليس فقط قراءة الكتب، بل إن قراءة الصحف ممنوعة منعًا باتًّا؛ ربما لأن القراءة في وضع النوم تُضر الجسم. حسنًا فأنا أعتقد أنه ليس سيئًا الهروب من طوفان الأفكار المزعج على الأقل أثناء وجودي هنا والاستمتاع بالعيش في براءة من خلال التأكد فقط من حقيقة هذه الرحلة البحرية الجديدة.

ولكن ما يجعلني أشعر بكآبة هو قلة الوقت الذي أستطيع الكتابة إليك فيه. في الأغلب بعد تناول وجبة الطعام أُسرع بإخراج أوراق الكتابة وأكتب، ولكن ما أريد كتابته كثير؛ فهذه الرسالة مثلًا استغرقت يومين للانتهاء منها. ولكن مع توالي التعود على معيشة صالة الألعاب من المؤكد أنني سأستطيع استغلال الأوقات القصيرة المتاحة بمهارة أكبر. لقد أصبحت على ما يبدو إنسانًا متفائلًا تجاه كل الأمور؛ ما من بذرة واحدة للقلق، نسيت كل شيء. وبالمرة أتحدث إليك عن أمر آخر، ألَا وهو اسم شهرتي في صالة الألعاب هذه؛ إنه «هيباري»؛ أي طائر القنبرة. وهو في الواقع اسم ممل! ويبدو أن السبب هو لأن اسمي الحقيقي كوشيبا ريسُكيه يُسمَع أحيانًا على أنه كوهيباري؛ أي القنبرة الصغيرة، فأصبح اسم شهرتي هنا هيباري. ولكنه أمر لا يبعث على الفخر. وفي البداية كنت منزعجًا منه وكارهًا له ولا أستطيع منع شعوري بالخجل منه، ولكن لأنني مؤخرًا أمسيت أتمتع بالتسامح تجاه كل شيء، قرَّرت أن أُجيب بطيب نفس على من يناديني باسم هيباري. هل فهمت؟ لم أعد كوشيبا الذي كنته في الماضي. إنني طائر قنبرة في صالة ألعاب صحية، أغرِّد وأصيح بإزعاج «صوصو، صوصو»؛ ولذا أرجو منك أنت أيضًا أن تقرأ رسائلي بتلك الصفة. أرجو منك ألَّا تتجهَّم وتقول يا له من شخص تافه!

– هيباري!

لقد نادت عليَّ الآن إحدى المساعِدات من خارج النافذة بصوت حاد.

أجيب بهدوء: ماذا؟!

– هل تفعلها؟

– أفعلها جدًّا!

– اجتهد أكثر!

– حسنًا لقد جاءت.

هل تفهم معنى هذا الحوار؟ إن تلك هي كلمات التحية في صالة الألعاب هذه. إذا التقى طالب مع مساعِدة في الرَّدهة لا بد من تبادل هذه التحية، ولا أدري متى بدأ تطبيق ذلك الأمر، ولكن لا أتوقع أن يكون مدير الصالة هو الذي قرَّر ذلك. لا ريب أن هذه فكرة اقترحتها المساعِدات هنا، ويبدو أن الطباع المشتركة لكل المساعِدات هنا هي النشاط والحيوية، ثم الصلابة التي تشبه صلابة الرجال؛ فمن أطلق أسماء الشهرة اللاذعة هذه على كل من في صالة الألعاب بدءًا من المدير إلى الموجِّهين والطلاب وحتى الموظفين الإداريين هن أولاء المساعِدات ولا أحد غيرهن. لهن صفات صارمة لا يمكن التساهل معها، ولكن لأدع الكتابة عن المساعِدات إلى الرسالة التالية بعد أن أقوم بمراقبتهن أكثر.

هذا هو شرح موجز عن صالة الألعاب هذه. تحياتي.

٣ سبتمبر

صرصور الحقل

١

تحياتي.

كما هو متوقع يختلف الأمر تمامًا بدخول شهر سبتمبر؛ يبدو أن الرياح تأتي عابرةً البحيرة، فتكون باردة. أصوات الحشرات كذلك، تكون واضحةً بارزة بصوت عالٍ مزعج أليس كذلك؟ ولأنني لست شاعرًا مثلك فمهما قلنا إن الخريف جاء، فلا أشعر بمشاعر حزن وعذاب، ولكن في غروب أمسِ وقفَت مساعِدة شابة أسفل النافذة على ضفاف البركة تنظر ناحيتي وتضحك ثم قالت: قل لذيل الحصان إن صرصور الحقل يصيح.

عندما سمعت تلك الكلمة، عرفتُ أن الخريف يتغلغل في مشاعر هؤلاء بصرامة، فخنقتني العبرة من التأثر، وبدا لي أن تلك المساعدة تميل بمشاعر حب منذ فترة تجاه السيد نيشيواكي ذيل الحصان زميلي في الغرفة.

– إن ذيل الحصان غير موجود، لقد ذهب لتوه إلى مكتب الإدارة.

عندما قلتُ لها ذلك ساء مزاجها فجأة، وحتى كلماتها تحولت إلى الفظاظة وهي تقول بطريقة هجوم عكسي مريبة: حقًّا؟ لا مشكلة إن لم يكن موجودًا، فهل أنت تكره صرصور الحقل يا هيباري؟

فلم أفهم ماذا حدث وفي الواقع كنتُ في حيرة.

كثيرًا ما تكون أفعال هذه المساعِدة الشابة غير مفهومة، وكانت منذ البداية وحتى الآن المساعِدة التي أحرص حرصًا شديدًا عند التعامل معها، واسم شهرتها مابو!

وبهذه المناسبة دعني أعرِّفك بأسماء الشهرة لباقي المساعِدات. في الرسالة الأخيرة ذكرتُ لك أن المساعِدات هنا لهن صفات صارمة لا يمكن التساهل معها، وقمن بإطلاق

أسماء شهرة لاذعة على كلٍّ من في صالة الألعاب، ولكن حتى الطلاب لا ينهزمون تجاههن وأطلقوا أسماء شهرة على جميع المساعِدات؛ ولذلك يبدو الوضع في حالة تعادل. ولكن، مهما قلنا فالأسماء التي اقترحها الطلاب، بها نوع من المراعاة تجاه الإناث، فنجدها بها قدر من الرقة والليونة. ماساكو ميورا سُمِّيت مابو، فليس فيه أي سخرية! وشيزوكو تاكيناكا باتت تاكي سان، بلا أي تجديد أو ابتكار. في منتهى الابتذال. وأيضًا المساعِدة التي تضع نظارةً على عينَيها مع أن بها ما يمكن أن نُطلق عليه السمك الذهبي الجاحظ العين، إلا أنهم قرَّروا على استحياء أن يكون اسمها السمكة الذهبية فقط. والنحيفة اسمها سردينة. ومن تبدو على وجهها الشعور بالوحدة تسمى «الوداع». ربما كانت تلك محاولةً جيدة في الابتكار، ولكنها أيضًا على استحياء. والأدهى والأمر مساعدة تضع مساحيق وأصباغ وجه مريبة رغم أنها غير ماهرة إلا أنها تصبغ جفونها بلون أحمر شديد الحمرة وتجعِّد باستمرار شعرها السبط؛ ولذا أطلقوا عليها اسم الطاووس. وربما أطلقوا عليها ذلك الاسم على سبيل السخرية، إلا أنها هي نفسها تفتخر به جدًّا وتقول نعم أنا طاووس، وربما زاد ذلك من ثقتها بنفسها؛ فليس في الأمر فكاهة. لو أنا لكنت أطلقت عليها اسم شيطانة السماء «تنيو»، وعندها فلن تتفاخر وتقول نعم أنا شيطانة! وغير ذلك ثمة أسماء مختلفة؛ مثل: غزال الرنة، والجُدجُد، والمحقق وبصلة ... إلخ، ولكنها كلها مبتذلة وسخيفة. واحدة فقط أطلق عليها حُمَّى الشيطان بمعنى الحُمَّى، وأعتقد أن تلك هي الوحيدة التي كانت ابتكارًا جيدًا في اختيار الاسم؛ فوجهها عريض جدًّا وخدودها تلمع باحمرار شديد؛ ممَّا يجعل من يراها يتذكر مباشرةً وجه الشيطان الأحمر؛ ولذلك أطلقوا اسم حُمَّى الشيطان عليها باستحياء وهم يقصدون المثل الذي يقول «حمَّى الشيطان الأحمر»، بمعنى حتى الشيطان يصاب بالحُمَّى. فكرة مبتكرة وراقية.

– حُمَّى الشيطان!

تجيب بعَفْوية: ماذا تريد؟

– اجتهدي!

– حسنًا لقد جاءت!

يا لها من صحة ونشاط! إن اجتهدت الحُمَّى فلن يقدر عليها أحد. ليست الحُمى فقط ولكن كل المساعدات كذلك بهن بعض الصفات الفظة ولكنهن جميعًا رحيمات وطيبات القلب.

٢

إن المساعِدة شيزوكو تاكيناكا أو تاكي سان هي أكثرهن شعبيةً بين الطلاب، ليس بها أي مسحة من جمال، ولكنها امرأة مهيبة يبلغ طولها ١٥٧٫٥سم تقريبًا، وصدرها ممتلئ، ولون بشرتها خمري، ويُقال إن عمرها خمسة وعشرون أو ستة وعشرون عامًا؛ أي إنها على أي حال بلغت من العمر عتيًّا. ولكن ضحكتها لها صفة مميزة، وربما كانت تلك هي السبب الأول لشعبيتها. عيناها في منتهى الاتساع، ولكنها عندما تضحك على العكس تتعلق أطراف العينين لأعلى وتضيق لتكون مثل الإبرة، وأسنانها ناصعة البياض تعطي إحساسًا بالانتعاش؛ ولأن جسمها كبير فهي يليق عليها جدًّا البالطو الأبيض، زي الممرضات الموحد. وربما كان اجتهادها في العمل أحد أسباب شعبيتها. على أي حال إنها لبقة وسرعتها في الانتهاء من علمها وترتيبه أو كما يقول كابُّوريه: «إنها بالفعل سيدة اليابان الأولى!» وأثناء التدليك، تتحدث باقي المساعِدات مع الطلاب أحاديث لا جدوى منها، ويتبادلون تعليم بعضهم البعض الأغاني الشائعة مؤخرًا، وإن مدحنا ذلك فهن ينسجمن مع الطلاب وإن ذممناه فهو تكاسل وتباطؤ في أداء العمل، ولكن تاكي سان فقط هي التي حتى وإن وجَّه أحد الطلاب لها حديثًا تبتسم وتومئ في غموض فقط، وتواصل العمل في التدليك بملمس يدين مزدهرتين وسريعتين، بل وتدليكها ليس قويًّا ولا ضعيفًا، بل هو مناسب تمامًا ومتقن. وهي دائمًا تقف وحيدةً عن باقي المساعِدات الأخريات تبتسم في صمت، بدون أن تتذمر أو تحكي شائعات مملة. وتلك الصفة الراقية، ذلك الرقي المنعزل اللامبالي ربما كان قوة جذب ساحرةً بالنسبة للطلاب، فمهما قلتُ فشعبيتها بينهم طاغية جدًّا. وطبقًا لوجهة نظر أسد إتشيغو: لا ريب أن أم تلك الفتاة امرأة في منتهى الانضباط.

وربما هو على حق. ويبدو أنها من مواليد مدينة أوساكا؛ فما زال في نطقها بقايا لهجة إقليم كانساي، ويبدو أن هذا أيضًا ممَّا يجعل الطلاب يهيمون بها، ولكنني منذ صغري عندما أرى امرأةً ضخمة الجسم أتذكر سمك الأسبور العملاق، فأبتسم بدون وعي ابتسامة متكلَّفة، وبعد ذلك أظل أشعر بالأسى تجاه تلك المرأة وأفقد تمامًا أي اهتمام بها. أكثر من ذلك، بالنسبة لي أفضِّل الفتاة الظريفة أكثر من المرأة الراقية. مابو فتاة ظريفة وصغيرة الجسم؛ ولذا أشعر باهتمام أكثر بمابو تلك غير المفهومة.

مابو في الثامنة عشرة من العمر، تركَت مدرسة البنات التابعة لبلدية محافظة طوكيو، وجاءت إلى هنا مباشرة. وجهها أبيض مستدير وأهدابها طويلة، جفونها ذات الثنية وعيونها الواسعة تنخفض أطرافها قليلًا ثم تكون تلك العينان مفتوحتين على وسعيهما دائمًا وكأنه

في حالة اندهاش مستمر، وبسبب ذلك تتولد تجاعيد على جبهتها فيضيق جبينها الضيق في الأصل زيادةً على ضيقه. تضحك كثيرًا جدًّا، فتلمع سنتها الذهبية. تبدو وكأنها لا تستطيع كبح رغبتها في الضحك فتضحك، وتتدخَّل في كل حديث وهي تفتح عينيها على اتساعهما وتقول ماذا؟ ماذا؟ وعلى الفور تضحك ضحكًا صاخبًا جدًّا، وتنحني بجسمها للأمام وتخبط على بطنها وهي تضحك ثم تصاب بغُصة من الضحك. أنفها مستدير ومرتفع ومقبب، شفتها السفلى النحيفة بارزة للخارج قليلًا عن شفتها العليا. ليست جميلةً ولكنها في منتهى الظرف، ويبدو أنها لا تبذل كل جهدها في العمل وهي غير ماهرة في التدليك، ومع ذلك لأنها ظريفة في حيوية ونشاط فهي لا تقل شعبيةً عن تاكي سان.

٣

أَلَا ترى الرجال في منتهى الغرابة بهذا الخصوص؟ الفتيات اللائي لا يعجبون بهن يُطلِقون عليهن أسماءً تستخف بهن مثل حُمَّى الشيطان والوداع بلا هوادة، والفتيات الجميلات لا يبتكرون لهن أسماء شهرة فلا يستطيعون إلا مناداتهن بنداء في منتهى الاعتيادية مثل تاكي سان ومابو! مهلًا، مهلًا؛ فاليوم لم أتحدث إلا عن الفتيات فقط مثل الأغبياء، ولكني لسبب ما لا أريد اليوم الحديث عن شيء آخر غيرهن؛ فأمسِ سكرتُ من كلمة مابو وهي تقول لي: «قل لذيل الحصان إن صرصور الحقل يصيح.» المفعمة بالسحر والجاذبية، وربما لم أُفِق من ذلك السكر حتى الآن. فمع أن مابو دائمًا تضحك بجنون، إلا أنها ربما تشعر بالوحدة أضعاف أي شخص آخر. أليس الذي يضحك كثيرًا يبكي كثيرًا؟ لا أدري ولكنني أشعر بحالة غريبة عند الحديث عن مابو. يبدو لي أن مابو مُعجَبة بالسيد نيشيواكي ذيل الحصان؛ ولذا فأنا لا أستطيع التنافس معه. الآن أكتب هذه الرسالة بعد أن أنهيتُ وجبة الغداء مبكرًا وأُسرع في كتابتها، وفي غرفة البجع المجاورة يصل إلى أذني بوضوح صوت ضحك مابو «المسرسع» العالي الصاخب مختلطًا مع أصوات ضحك الطلاب. تُرى ما الذي يجعلهم في هذا الصخب؟ شيء شائن! إنهم كالمجانين! هكذا أنا اليوم في حالة غريبة! كان لديَّ العديد من الأمور التي أريد الكتابة عنها، ولكن الضحك المنبعث من الغرفة المجاورة يشغل تفكيري فلم أعد قادرًا على الكتابة، حسنا سآخذ قسطًا من الراحة قليلًا.

هدأت الضجة في الغرفة المجاورة أخيرًا، فقررتُ معاودة الكتابة. على كل حال إن الفتاة التي تُسمى مابو شخصية غير مفهومة. ماذا؟ مطلقًا! أنا لا أتمسَّك بها على الإطلاق، الفتيات في السابعة أو الثامنة عشرة من العمر، كلهن على هذه الشاكلة. لا يمكن مطلقًا

معرفة أهي فتاة جيدة أم فتاة شريرة. كلما أقابلها أكون في حالة مثل حالة غِنباكو سوغيتا عندما فتح لأول مرة كتابًا غربيًّا بحروفه المكتوبة بالعرض ونظر فيه، وقال: «وكأنها عبارة عن إبحار في محيط عملاق بدون دفة ودون وجود مكان يمكن الاعتماد عليه، مجرد حيرة تليها حيرة!» لو قلت ذلك لكان به بعض المبالغة! ولكن على أي حال، بدرجة ما الحقيقة هي أنني أقع في حيرة، وينشغل بالي بها مهما فعلت، والآن لقد توقفت عن الكتابة بسبب صوت ضحكاتها ورميت القلم ونمت في سريري، ومهما فعلت كان من الصعب أن أهدأ وأستكين، ولم أستطِع الصبر، وشكوت حالي إلى جاري السيد ماتسوئمون وأنا نائم: ألَا ترى أن مابو مزعجة؟

عندما قلت له ذلك التوبيخ بلساني، فجأةً جلس السيد ماتسوئمون متربعًا على سريره المجاور لي وهو يستخدم خلَّة الأسنان وأومأ ثم مسح العرق عن أنفه بالمنشفة وقال: إن أم تلك الفتاة سيئة!

إنه يجعل الأم سببًا لكل شيء.

ولكن ربما تكون مابو تربَّت على يد زوجة أب شريرة؛ لذا تمرح في بشاشة، ولكن بها شعورًا بالوحدة. يبدو أنني أُعجَبت بها اليوم كثيرًا.

– قل لذيل الحصان إن صرصور الحقل يصيح.

منذ ذلك الوقت أصبحتُ في حالة شاذة! مع أنها فتاة مملة جدًّا!

٧ سبتمبر

الموت والحياة

١

أعتذر عن الرسالة الغريبة أمس. في لحظة تغير فصول السنة يبدو الجميع في إطار جديد ويشعرون بالاشتياق، وينتهي الحال بدون وعي إلى الصخب والصياح: إنني أحب، إنني أحب. وفي الواقع أنا لا أشعر بالحب لهذه الدرجة. كل هذا بسبب هذا الفصل من العام، بداية الخريف! ويبدو أنني مؤخَّرًا بتُّ مهمِلًا وكأنني بالفعل أُشبه عصفورًا يُحدث ضوضاء صاخبة بـ «الصوصوة» المزعجة، ولكن لا أشعر حاليًّا بالندم الشديد حيال ذلك لدرجة كره الذات أو الرغبة في عض السرة.[١] في البداية شعرت أن زوال مشاعر كراهية الذات تلك أمر عجيب، ولكنه على العكس ليس عجيبًا مطلقًا. أليس من المفترض أنني تغيَّرت بالفعل إلى رجل مختلف اختلافًا تامًّا؟ لقد غدوتُ رجلًا جديدًا. ويُعَد عدم الشعور بكراهية الذات أو الندم بالنسبة لي الآن سعادةً عظيمة، وأرى أنه أمر جيد. الآن أملك فخرًا مُنعشًا بالنفس بصفتي رجلًا جديدًا. وهكذا قضيت ستة أشهر بهذا الحال في صالة الألعاب هذه دون الإحساس بشيء، وتسلَّمت من إنسان جليل رخصة اللهو والعيش ببراءة وتلقائية. عِش في رشاقة وشفافية مثل عصفور مغرد، مثل ماء طاهر سلسال.

في رسالة أمس مدحت مابو مديحًا مفرطًا بغباء، وأريد الآن أن أُلغي ذلك المديح؛ ففي الواقع حدث اليوم حادث غريب إلى حد ما؛ ولذا تحتم عليَّ أن أُبلغك على الفور بتعديل

---

[١] الرغبة في عض السرة مَثَل ياباني يعبِّر عن شعور الندم العظيم، حتى إن المرء يحاول عض سرته فلا يصل فمه إليها، ومع ذلك جعله الندم يكرِّر المحاولة مرةً بعد أخرى. (المترجم)

وتصحيح للرسالة السابقة، وأرجو منك ألَّا تضحك على أوصافي المهملة مثل العصفور المغرد والماء الطاهر السلسال.

كانت مدلكتي صباح اليوم هي مابو بعد انقطاع طويل. تدليك مابو رديء جدًّا ومهمِل جدًّا. ربما كانت تدلك السيد ذيل الحصان برعاية واهتمام، ولكنها كانت دائمًا تدلكني بإهمال وبلا مراعاة أو حنان؛ فعلى الأرجح أن مابو لا تنظر إليَّ إلا مثل حجر صغير ملقًى على قارعة الطريق، هذا أكيد وما باليد حيلة، ولكن مابو ليست بالضرورة حجرًا صغيرًا بالنسبة لي؛ ولذا عندما تكون هي مدلكتي أشعر بضيق التنفس ويتخشب جسمي بغرابة ولا أستطيع المزاح وإطلاق النكات بمهارة. لا يصل الأمر إلى المزاح، بل يحتبس صوتي في الحنجرة فلا أقدر على التحدث بطريقة عادية. وفي النهاية أبدو متجهمَ الوجه وكأنني غاضب وسيئ المزاج، وربما كان ذلك سبب شعور مابو بعدم الراحة، فتكف عن الضحك فقط في الوقت الذي تدلكني فيه وتصمت تمامًا عن الحديث. وهكذا كان التدليك صباح اليوم سيئًا ولا يُحتمل، وخاصةً أن مشاعري تتوتر بسرعة مفاجئة بعد أن سمعت منها كلمة «قل لذيل الحصان إن صرصور الحقل يصيح.» وعلاوةً على ذلك بتُّ لا أتحمَّل مشاعر الإحراج بسبب تكراري لقول إنني أحب مابو! أحب مابو! في رسائلي إليك. وعندئذٍ قالت مابو لي بصوت خفيض وهي تدلك ظهري: أنت أفضلهم يا هيباري!

لم يسعدني ذلك. قلت في نفسي ماذا تقول؟ إن مجاملتها لي هكذا بلا مشاعر أكبر دليل على استخفافها بي؛ فلو كانت تعتقد حقًّا أنني أفضلهم، لصعب عليها قول ذلك بهذا الوضوح والتلقائية؛ فحتى أنا، أفهم هذا القدر مما بين السطور. التزمتُ الصمتَ فعاودت القول بصوت خفيض كذلك: لدي مشكلة أعاني منها!

أصابتني الدهشة! وشعرت بالضيق والانزعاج متسائلًا: «تُرى ما الأمر السيئ الذي ستقوله؟!» إن كلمة «صرصور الحقل يصيح» كانت نتائجها سلبيةً بالكامل. وارتبتُ في أن تكون حمقاء. لقد كنتُ أفكر من قبلُ أن طريقة ضحكتها تلك تشبه ضحكة المتخلفين عقليًّا، وأثناء تفكيري ربما تكون حمقاء فعلًا، هدأتْ مشاعري، فسألتها بنبرة صوت مستخفة: أي مشكلة، تلك التي تعانين منها؟

٢

لم تُجِب. شهقت بأنفها شهقةً خفيفة جدًّا، وعندما نظرتُ إليها نظرةً جانبية، رأيتها تبكي! ما هذا؟! بلغ بي الاستياء مبلغه. لقد كتبت لك أمس إن الشخص الكثير الضحك هو أيضًا

كثير البكاء، فعندما تحققت تلك النبوءة الخائبة أمام عيني بسهولة، شعرت على العكس بالتعب وقلت لنفسي: ما هذا الغباء!

ثم قلت لها بنبرة صوت ساخرة: يبدو أن ذيل الحصان سيغادر الصالة.

والحقيقة أنني سمعت هذه الشائعة حقًّا؛ فقد عرفت أن ذيل الحصان سينتقل بسبب ظروف عائلية إلى مستشفى في هوكايدو مسقط رأسه.

– لا تسخر مني!

ثم وقفت وحملت الطست المعدني وغادرت الغرفة سريعًا رغم أن وقت التدليك لم ينتهِ بعد. تأملتُ ظهرها وهي تغادر، وأعترف لك أن قلبي كان يرقص فرحًا. بالطبع مهما بلغ بي الغرور فلم أفكِّر أنها كانت تعاني بسببي، ولكن أن تبكي مابو المرحة أمام رجل غير مهذب بكاءً له معنًى ثم تغضب وتقف لتغادر المكان، ربما كان حدثًا عظيمًا حقًّا. أو ربما كان … كلا مهما سيطرت على نفسي يظهر الغرور كما هو متوقع قليلًا وينزاح الاحتقار الذي كان قبل لحظة وأشعر تجاه مابو بحب طائش، ألوِّح بذراعي تلويحًا كبيرًا وأنا نائم فوق سريري راغبًا في الصياح: آه! بصوت عال. ولكن لم يحدث شيء مهم. فهمت على الفور معنى دموع مابو. أعلمتني السمكة الذهبية التي كانت تدلك أسد إتشيغو بجواري بغير اكتراث: لقد وُبِّخَت؛ وبَّختها تاكي سان الليلة الماضية لأنها تُحدث ضوضاء دون أي مراعاة لأحد.

تاكي سان هي رئيسة المساعدات، لذا فمن المؤكد أنها تملك سلطة التوبيخ. حسنا لقد فهمت بذلك كل شيء؛ فلم يكن ثمة شيء من الأصل. فهمت بوضوح تام! ماذا؟ وبَّختها رئيستها فتشعر بالمعاناة؟ يا له من تهويل! في الواقع لقد أحسستُ بالخجل؛ فقد شعرت أن الجميع مثل السمكة الذهبية وأسد إتشيغو وغيرهما اكتشفوا غروري البائس وكانوا يضحكون خفيةً مني ضحكة شفقة. وفي تلك اللحظة فقط حتى الرجل الجديد الذي بداخلي صُدِم. لقد فهمتُ حقًّا وصدقًا، فهمت جيدًا كل شيء، ونويت أن أيأس تمامًا من أمر مابو. إن الرجل الجديد بارع جدًّا في اتخاذ القرارات الحاسمة. الرجل الجديد لا يعرف مشاعر الحسرة على الحب ولا غيرها. لقد قرَّرتُ أن أتجاهل مابو تمامًا. إنها هرة، إنها حقًّا فتاة مملة. أشعر أنني أُريد أن أضحك بمفردي هكذا هاهاها.

عند الغداء جاءت تاكي سان حاملةً آنية الطعام. إنها في المعتاد ترحل سريعًا، ولكنها اليوم وضعت الآنية فوق المكتب الصغير المجاور للسرير، ثم بعد ذلك تأملت النافذة وهي تطيل قامتها، واقتربت من النافذة خطوتين أو ثلاث خطوات، ووضعت يدَيها على حافة

النافذة، ووقفت صامتةً وهي تعطيني ظهرها. بدت أنها تنظر إلى البِركة التي في الحديقة. جلستُ على سريري وبدأت أتناول طعامي في هدوء. الرجل الجديد لا يشتكي من محتوى وجبة الطعام. وجبة اليوم عبارة عن سردين مجفف مع يقطين مسلوق. أكلت السردين المجفف من رأسه محدثًا صوتًا. يجب عليَّ مضغه جيدًا، ثم مضغه أكثر ليصير مغذِّيًا.

– هيباري!

هُمس إليَّ بتلك الكلمة من خلال تنفُّس فقط بلا صوت تقريبًا، فرفعتُ وجهي عاليا، وفي غفلة من الزمن كانت تاكي سان قد وضعت يديها خلفها وأعطت ظهرها للنافذة متجهةً نحوي، ثم ابتسمت ابتسامةً مميزة وواصلت القول بصوت منخفض للغاية بما يشبه التنفس: هل حقًّا بكت مابو؟

٣

أجبتُ بصوت طبيعي: أجل.

قالت إنها تعاني من مشكلة.

أمضغُ جيدًا، أمضغ جيدًا لأصنع دماءً صحية جديدة.

فقالت تاكي سان بصوت خفيض: يا لها من شخص مقزِّز!

ثم عبست بوجهها.

– ليس لي علاقة.

الرجل الجديد صريح وواضح، لا يهتم بخلافات النساء.

فقالت وعلى وجهها المتورد ابتسامة: أنا أشعر بالقلق.

ارتبكتُ قليلًا، فبلعتُ الطعام دون مضغه جيدًا.

ثم وهي تمر من أمامي لتخرج من الغرفة قالت بصوت منخفض وكلمات سريعة: كُل جيدًا!

وبدون وعي بوَّزت فمي. ما هذا! مع حجمها الكبير هذا فهي مهملة. لسبب ما شعرتُ بذلك وقتها، فلم يهدأ لي بال مطلقًا. أليست رئيسة المساعِدات؟ فلا حاجة لأن تقلق إذا وبخت أحدًا. شعرتُ بالمرارة، وفكَّرت أن تاكي سان يجب أن تكون أكثر صرامة، ولكن عندما ملأت الطبق بالأرز للمرة الثالثة هذه المرة وجهي أنا هو الذي تورَّدت وجنتاه. حلة الأرز اليوم زائدة عن المعتاد. دائمًا عندما أغرف الطبق الثالث يُفترض أن الأرز ينتهي بالضبط، واليوم حتى بعد أن غرفت الطبق الثالث ما زال في قاع الحلة الصغيرة من الأرز

ما يملأ طبقًا رابعًا عن آخره. كانت صدمةً إلى حد ما؛ فأنا لا أحب مثل هذا النوع من الود. لا أستسيغ الود الشكلي. والطعام الذي لا أستسيغه لا يتحول إلى دماء ولا إلى لحم. لا يُحدث تغييرًا. أمر ضائع بلا فائدة. وإن قلدتُ أسد إتشيغو لقلت: «لا ريب أن أم تاكي سان امرأة من طراز قديم بدرجة مرعبة جدًّا.»

أكلت فقط ثلاثة أطباق خفيفةً كما هي العادة وتركتُ في الحلة مقدار طبق المجاملة كما هو دون أن ألمسه. وبعد فترة عندما جاءت تاكي سان لكي ترفع آنية الطعام بوجه لا مبالٍ وكأن شيئًا لم يكن، قلتُ لها بنبرة مستخفة: لقد تركت بعضًا من الأرز باقيًا.

رفعت تاكي سان غطاء الحلة قليلًا دون أن تنظر ناحيتي مطلقًا وقالت: طفل مقزِّز.

بصوت خفيض جدًّا لدرجة أنني تقريبًا لم أستطع سماعه، ثم رفع الآنية، وغادرت الغرفة بنفس الوجه غير المكترث كما كانت وكأن شيئًا لم يكن.

كانت كلمة «مقزز» كلمة تاكي سان التي على لسانها دائمًا وليس لها أي معنًى، ولكن عندما تقول لي «مقزز»، لا أشعر بالارتياح، بل هو في الواقع شيء كريه. لو كنت أنا في السابق لمن المؤكَّد أنني كنت سأضرب تاكي سان ضربةً قوية بقبضة يدي. لماذا أنا مقزز؟ ألست أنت المقززة؟ سمعت أن الخادمة في الماضي البعيد كانت وهي تغرف تزيد سرًّا في طبق أرز تلميذ الحرفة الذي تجامله، ولكن يا لها من مشاعر حب مقززة وبلا حكمة! منتهى البؤس. الحذار من الاستهانة بي؛ فأنا لديَّ كبرياء الرجل الجديد. يكفي المرء أن يمضغ الطعام جيدًا بمشاعر راضية لكي ينال التغذية الضرورية حتى وإن كانت كميته قليلة. لقد كنتُ أظن أن تاكي سان أكثر وعيًا من ذلك، ولكن المرأة لا نفع فيها؛ لأنها في العادة تتصرَّف برباطة جأش يجعلها تبدو رزينة العقل، ولكن عندما تفعل مثل هذا الفعل تبدو أكثر قذارة. أمر مؤسف. يجب على تاكي سان أن تكون أكثر حصافةً من ذلك. لو كانت مابو فمهما كان فشلها لا يعدم الأمر أن تصبح على العكس أكثر جمالًا وتزيد جاذبيتها، ولكن خطأ المرأة العظيمة مزعج جدًّا! لقد كتبتُ ما سبق في وقت الراحة بعد وجبة الغداء، ولكن بدأت الآن سماعات الردهات تبلغنا فجأةً تعليمات أن على جميع طلاب الصالة التجمع في شرفة العنبر الجديد.

٤

جمعت أوراق الكتابة وذهبت للشرفة في الطابق الثاني. في وقت متأخر من الليلة الماضية ماتت طالبة شابة في العنبر القديم اسمها إيتوكو ناروساوا، وسيقوم جميع الطلاب بوداع

جثمانها الصامت المغادر للصالة الآن. ثلاثة وعشرون طالبًا من العنبر الجديد، بالإضافة إلى ست طالبات من العنبر الفرعي للعنبر الجديد، وقفنا في الشرفة بوجوه متوترة، فيما يشبه الطابور الرباعي ننتظر خروج التابوت. مرت برهة، ثم خرج من العنبر القديم تابوت ناروساوا مغطًّى بقماش أبيض، يلمع بجمال وقد انصبَّت عليه أشعة شمس الخريف، تحت مراقبة أقربائها، وسار ببطء هابطًا المنحدر الضيق داخل غابة أشجار الصنوبر متجهًا نحو الطريق العام. استطعتُ أن أرى سيدة تبدو أنها أم ناروساوا تمشي باكيةً تكفكف دمع عينَيها بمنديل. يتبع التابوت حتى منتصف الطريق الموجِّهون والمساعِدات بزيهم الأبيض ناكسي رءوسهم.

قلتُ لنفسي إنه أمر جيد. لا يكتمل الإنسان إلا بالموت. إن الجميع أثناء حياتهم ناقصون. الحشرات والطيور الصغيرة أثناء حياتها وحركتها تكون كاملة، ولكنها عندما تموت تغدو مجرد جيفة. لا كمال ولا نقصان، فقط تعود للعدم. ومقارنةً بذلك الإنسان على العكس تمامًا؛ فالإنسان بعد أن يموت تتحقَّق المفارقة التي تقول إنه يضحى أكثر إنسانية. صارعتْ ناروساوا المرض ثم ماتت، ثم لُفت في قماش أبيض نظيف وجميل، والآن وهي تهبط المنحدر تظهر ثم تختفي بين أشجار الصنوبر المتراصة، تؤكِّد بقوة على روحها الشابة، بأبلغ وأوضح وأجل ما يكون. لا نستطيع نحن نسيان ناروساوا إلى الأبد. أخذتُ وضع الصلاة ضامًّا كفَي معًا ببراءة تجاه القماش الأبيض اللامع.

ولكن، لا يجب يا عزيزي أن تخطئ الفهم؛ فمع قولي إن الموت أمر جيد، لا يعني ذلك مطلقًا أنني أسترخص حياة الإنسان أو أتعامل معها بتهاون، وكذلك لستُ أنا العاطفي الضعيف الذي «يمجد الموت»، ولكنني فقط لا أندهش من الموت الآن لأننا نحيا بجواره لا يفصلنا عنه إلا ورقة واحدة. وأرجو منك عدم نسيان ذلك. لا شك أنك إذ تقرأ رسالتي هذه الآن في وقت تعمُّ اليابانَ كآبةٌ وندم وحزن غاضب، ترى أنه من غير اللائق أن أُحاط بذلك المرح المفرط واللامبالاة. وأنا أتفهَّم شعورك، ولكنني لستُ أحمق؛ فأنا لا أعيش مواصلًا الضحك عاليًا صباح مساء. وهذا هو الأمر الطبيعي. إنني أسمع العديد من الأنباء في تقرير الساعة الثامنة والنصف من كل ليلة، وثمة ليالٍ لا أستطيع النعاس فيها مهما حاولت النوم وغطيتُ رأسي تحت البطانية في صمت، ولكنني حاليًّا لا أريد أن أحدِّثك عن هذه الأمور التي تفهمها جيدًا. نحن مرضى بالسل، وكلنا معرَّضون لأن نتقيأ دمًا الليلة فجأةً ونغدو مثل ناروساوا. تنبع ضحكاتنا من الحجر الصغير الذي يتدحرج في ركن صندوق باندورا. إن الإنسان الذي يعيش جنبًا إلى جنب مع الموت يتأثر أكثر بابتسامة زهرة يانعة، أكثر

من تأثُّره بقضية الحياة والموت. لقد أغوانا عطر زهور خافت، ونحن الآن ننطلق للأمام في سفينة كبيرة مجهولة مستسلمين لتيار البحر السماوي، ولا نعلم إلى أي جزيرة ستصل ما تُسمى سفينة المشيئة السماوية هذه؟ ولكن يجب علينا أن نؤمن بهذا الإبحار، بل لدرجة أنني أشعر أن سعادة الإنسان أو تعاسته لا تتقرَّر بناءً على موته أو حياته. الموتى يكتملون، ويقف الأحياء على ظهر السفينة المنطلقة يضمون كفوفهم مصلين، وتغادر السفينة الميناء في سلاسة.

«الموت أمر جيد.»

ألَا يشبه ذلك رباطة جأش البحار المتمرِّس في فنون الإبحار؟ إن الرجل الجديد ليس عاطفيًّا تجاه الحياة والموت.

٨ سبتمبر

مابو

١

قرأتُ ردك السريع بمشاعر حنين للماضي. لقد كتبتُ في رسالتي الأخيرة لك كلمة خطيرة تسبِّب سوءَ فهمٍ إلى جد ما، تلك التي تقول «الموت أمر جيد»، ولكن يبدو أنك فهمت مشاعري الحقيقية فهمًا صحيحًا دون أدنى سوء فهم، وفي الواقع لقد سعدتُ بذلك، ولا يسعني إلا أن أرى أن السبب في ذلك هو الزمن. ألستَ معي أن الناس في العصور السابقة كان يصعب عليهم فهم مشاعر الهدوء والسكينة تلك تجاه الموت؟ «لا يقتصر الأمر على مرضى السل فقط، بل إن الشباب الآن جميعًا يعيشون جنبًا إلى جنب مع الموت. لقد قُدِّمت حياتنا جميعًا قربانًا لذلك المُبجَّل، ولم تعد ملكًا لنا؛ ولهذا السبب، نحن نستطيع دون أدنى حيرة أو تردُّد أن نُسلم أنفسنا بسهولة لسفينة المشيئة السماوية تلك. هذا هو شكل الشجاعة الجديد للقرن الجديد. ومن العجيب أننا لا نبالي رغم أنه مقرر منذ زمن بعيد أن الجحيم تقبع مباشرةً تحت تلك السفينة.» إن كلماتك تلك في رسالتك أصابتني بالدهشة؛ لذا يجب عليَّ تقديم الاعتذار بجدية لإعرابي عن انطباعي بأن أول رسالة تسلَّمتها منك، قديمة.

نحن لا نستهين بالحياة مطلقًا، ولكن كذلك لا نخاف الموت، ولا ندع العواطف المشبوبة تجاهه تجتاحنا، والدليل على ذلك أنني وداع تابوت إيتكو ناروساوا الملفوف بالقماش الأبيض الألق الجميل، نسيت تمامًا مابو وتاكي سان، ورقدتُ على سريري بمشاعر صفاء مثل سماء الخريف في ذلك اليوم، ثم سمعت الطلاب والمساعِدات في الممر يتبادلون التحية المعتادة:

– هل تفعلها؟

– أفعلها جدًّا!

– اجتهد أكثر!

– حسنًا لقد جاءت.

ولكنها لم تكن بتلك النبرة شبه المازحة كما كانت عليه دائمًا، فقد انتبهتُ إلى أنها تحتوي على صدًى للجدية قليلًا، ثم شعرتُ أنا بصحة غير عادية على العكس من هؤلاء الطلاب الذين يصرخون بتوتر وبراءة. وإن قلت ذلك بطريقة متكلفة، لقد أحسستُ طوال ذلك اليوم أن الصالة بأكملها في حالة قُدسية ربانية. لقد آمنتُ أن الموت لا يجعل مشاعر الإنسان تضمحل أو تذبل.

وأشعر بالشفقة على إنسان العصور القديمة الذي لا يستطيع فهم مشاعرنا تلك إلا على أنها تظاهر طفولي بالقوة أو أنها يأس ناتج عن فقدان الأمل. ألَا ترى أنه يندر وجود الإنسان الذي يفهم بوضوح مشاعر العصرين معًا؛ العصر القديم والعصر الحديث؟ إنني أعتقد أن الروح في خفة الريشة. ولكن ليس معنى هذا أننا نتعامل مع الروح باستهانة، بل إننا نحب الروح لأنها في خفة الريشة، ثم تطير تلك الريشة بعيدًا جدًّا بسرعة كبيرة. وهكذا، نُبحرُ نحن ككلمات مباشرة لذلك المبجل، تاركين وراءنا هؤلاء الكبار يواصلون الصراخ عاليًا في جدال يبدو وكأنه واضح تمامًا عن الوطنية ومسئولية الحرب، لدرجة أنني أشعر أن تلك هي الصفة المميزة لليابان الجديدة.

لقد وضعتُ «نظرية» غير متوقعة مطلقًا من موت إيتوكو ناروساوا، ولكنني لستُ بارعًا في مثل هذه النظريات. إن الرجل الجديد يصمت مذعنًا للسفينة المصنوعة حديثًا. ومن العجيب أنه يرتاح أكثر بالكتابة عن حياته الجديدة داخل السفينة المشرقة. ما رأيك أن أحكي لك مرةً أخرى عن الفتيات؟

٢

ألم تدافع في رسالتك بسخافة عن تاكي سان؟ إن كنت تحبها لهذه الدرجة فمن الأفضل أن ترسل رسالةً مباشرة لها. كلا، أفضل من ذلك، أن تقابلها. إن وجدت لديك وقتًا من الأفضل أن تأتي لزيارة صالة الألعاب هذه، ليس من أجل زيارتي ولكن لكي تقابل تاكي سان. لو قابلتها فسوف تتحرَّر من أوهامك؛ فعلى أي حال هي امرأة عظيمة جدًّا، بل إن قوة ذراعيها أقوى منك شخصيًّا. بناءً على رسالتك، فأنت لا ترى أية مشكلة في بكاء مابو، وترى أن قول تاكي سان «أنا أشعر بالقلق» حدث عظيم، ولكن حتى ذلك أنا أيضًا فكرتُ

فيه. أليس قول «أنا أشعر بالقلق» تجاه مجيء مابو إلى مكاني، وقولها إنها تعاني ثم بكاؤها، دليلًا على تعمُّد تاكي سان؟ إن هذا يولِّد غرورًا أحمق داخليًّا، إلا أنني لا أشعر بذرة من ذلك. إن تاكي سان عظيمة بدنيًّا فقط بدون أي جاذبية. يجعلها العمل مشغولةً دائمًا، ولا يترك لها متسعًا للتفكير في شيء آخر. إنها مجرد فتاة متوترة من المسئولية الثقيلة لكونها رئيسة المساعِدات فتواجه العمل بكل شجاعة. وأعتقد أن تاكي سان وبَّخت مابو في الليلة السابقة، ثم سمعت تاكي سان من المساعِدات الأخريات أن مابو بكت بكآبة شديدة بسبب توبيخها لها، مما جعلها تفكِّر أن توبيخها كان أكثر قوةً ممَّا يجب، فندمتْ على ذلك «وشعرت بالقلق». ومع أنها في هذه الحالة تبدو بلا حنكة إلا أن ذلك صحي. لا شك في ذلك مطلقًا. إن المرأة في الأصل لا تفكِّر إلا في نفسها فقط؛ لذا الرجل الجديد لا يشعر بالغرور مطلقًا تجاه المرأة؛ هو غير محبوب منها، إنه صريح وبسيط.

لقد احمرَّ وجه تاكي سان وهي تقول: «أشعر بالقلق.» ولكن هذا معناه أنها قلقت بسبب توبيخها مابو، ثم انتبهتْ إلى أن ثمة صدًى مريبًا غير متوقع لتلك الكلمة التي قالتها فجأة، فاحمرَّ وجهها ولا أكثر من ذلك. إنه أمر في منتهى الملل. ثمة حقيقة هامة جدًّا يجب وضعها في الاعتبار من أجل حل كل هذا الوضع الغريب في ذلك اليوم؛ بكاء مابو، شعور تاكي سان بالقلق، مجاملتها لي بزيادة كمية الأرز. تلك الحقيقة هي موت إيتوكو ناروساوا. لقد ماتت ناروساوا في الليلة السابقة مباشرة، ويمكن بذلك فهم توبيخ مابو التي تضحك ضحك السكارى. إن المساعِدات فتيات شابات مثل إيتوكو ناروساوا. من المؤكد أن صدمتهن قوية. ولكن ما زال لدى الأنثى حتى الآن نوع من المشاعر البالية. يشعرن بالحيرة من الوحدة، فأدَّى ذلك إلى ظهور عاطفة غريبة بزيادة كمية الأرز لي على سبيل الإحسان. على أي حال، أنا أرى أن الحالة الغريبة للجميع في ذلك اليوم لها علاقة قوية بموت إيتوكو ناروساوا. وليس معناها مطلقًا أن مابو أو تاكي سان لديهما مشاعر تجاهي من أي نوع. أنا لا أمزح.

ما رأيك؟ هل فهمت؟ هل مع ذلك ما زلت تحب تاكي سان؟ حسنًا الحل أن تأتي لزيارة صالة الألعاب وتلقي نظرةً عليها في الطبيعة. إن مابو لديها مشاعر جديدة أكثر من تاكي سان، وهو ما أعده أنا أفضل، ولكن يبدو أنك تكره مابو كرهًا شديدًا. ما رأيك لو أعدتَ التفكير في الأمر؟ إن مابو لديها جوانب جيدة. أول أمس أظهرت لي مابو شيئًا من طبيعتها الجيدة جدًّا، ممَّا جعلني أصحِّح نظرتي عنها سريعًا، ولكن اليوم، سأؤجل الكلام عن ذلك للمرة القادمة، وأعتقد أنك أنت أيضًا ستحب مابو.

٣

أول أمس تقرَّر أخيرًا أن يغادر زميلي في الغرفة السيد نيشيواكي ذيل الحصان الصالة لأسباب خاصة بأسرته، وكان بالضبط ذلك اليوم يوم عطلة مابو الرسمية، وكان الطلاب يمازحونها بأنها وعدت ذيل الحصان أن تودعه حتى مدينة إيـ... أو يطلبون منها هدايا، فكان عليها ضغط من جميع الجهات، ولكنها كانت توافق بأريحية الجميع على طلباتهم وتقول لهم فهمت، فهمت، وفي الصباح الباكر من أمس الأول، ارتدت سروال موبيه مخططًا من مدينة كورومیه وذهبت في إثر السيد ذيل الحصان، ثم في الساعة الثالثة بعد الظهر وقد بدأنا تمارين الانحناء والتمدد، عادت وعلى وجهها ابتسامة مشرقة لا تناسب فتاةً عادت بعد وداع شخص عزيز عليها، ودارت على غرف الصالة واحدةً بعد أخرى توزع الهدايا التي وعدت بها الطلاب.

في هذا العصر الحالي وبسبب نقص الأيدي العاملة، خرجت بنات العائلات التي تعيش في مستوًى اجتماعي عالٍ إلى العمل، ويبدو أن مابو من هذه الطبقة الاجتماعية، والعمل بالنسبة إليها كالهواية، وربما بسبب كثرة الأموال في جيوبها فهي دائمًا كريمة، ويبدو أن هذا أيضًا أحد أسباب شعبيتها الكبيرة بين الطلاب؛ ففي ذلك الوقت كانت الهدايا شيء في منتهى الرفاهية. كانت الهدايا التي وزعتها عبارةً عن مرايا بأطوال متنوعة لا أدري كيف ومن أين حصلت عليها! ملصق عليها في الخلف صورة ممثلة سينمائية. كنا نحصل على مثل هذه الأشياء في الماضي كهدايا مجانية في محل الحلويات اليابانية التقليدية، ولكن حاليًّا تُباع وأسعارها ليست هينةً مطلقًا. ربما تكون ذهبت إلى محل حلويات أو محل هدايا واشترت منها عشرات القطع، ولكن على كل حال كانت فكرة تلك الهدايا تدل فعلًا على شخصية مابو. وبدا أن طلاب الصالة قد أُعجِبوا إعجابًا شديدًا بصور الممثلات التي على ظهر المرايا، فحدثت ضجة كبرى. وحصل كابُّوريه كذلك على واحدة منها. أما أنا ففي الأصل أكره أن أتلقى شيئًا من امرأة؛ ولذا لم أطلب منها هدية، بالإضافة إلى اعتقادي أن حملي جميلًا بأخذ مرآة جيب مثل الجميع أمر سخيف وملل، فجاءت مابو إلى غرفتنا وسلمت كابُّوريه المرآة.

– هل تعرف يا سيد كابُّوريه تلك الممثلة؟

– لا أعرفها، ولكنها جميلة. إنها تشبك تمامًا.

– أوه، ماذا تقول! إنها دانيال داريو.

– ماذا؟ أمريكية؟

– لا بل فرنسية. شهرتها في طوكيو مؤخرًا كبيرة. ألَا تعرفها؟

– بلى، لا أعرفها. سواء فرنسا أو غيرها في كل الأحوال سأعيدها لك؛ فالأجانب مملون. ألَا تغيِّريها لي بصورة لمثلة يابانية؟ لو أمكن فهذه هي أمنيتي. يمكن أن تعطي هذه للسيد هيباري كوشيبا الذي هناك.

– أنت مرفَّه! إنني أعطيها لك أنت خاصة. أرفض أن أعطيها لهيباري؛ أرفض لأنه مشاكس!

– حقًّا؟ إذن سأقبلها على أي حال. دانيـــ...

– اسمها دانيال. دانيال داريو.

كنتُ أواصل تمارين الانحناء والتمدد بلا كلل أو ملل وأنا أسمع هذا الحوار بينهما، ولكن لم يكن الأمر ممتعًا بالنسبة لي. ألهذه الدرجة تكرهني مابو؟ بالتأكيد لم أكن أظن أنها تحبني، ولكنني لم أتوقع قط أنها تكرهني، تكرهني أنا فقط، كل هذه الكراهية. مهما كنتُ أظن أنني وضعت نفسي في أقل موضع، أجد أن القاع ما زال تحته قاع آخر. في النهاية يعيش البشر في سكرة من أوهام الذات. قلتُ لنفسي إن الواقع قاسٍ وشاق. تُرى ما الخطأ الذي فعلته؟ وفكَّرت أن أسأل مابو بجدية هذا السؤال في المرة القادمة، وجاءت الفرصة بأسرع ممَّا كنتُ أتوقع.

٤

في نفس اليوم الساعة الرابعة، في وقت الطبيعة، كنتُ أجلس على سريري أنظر خارج النافذة في شرود، فظهرت مابو بعد أن بدَّلت زي المرضات الأبيض في الحديقة فجأةً حاملةً الغسيل، فوقفتُ دون وعي، وأخرجتُ نصفي الأعلى من النافذة وناديتُ عليها بصوت خافت: يا مابو!

التفتت مابو ناحيتي ونظرت لي ضاحكة. فجرَّبت أن أسألها: ألن تعطيني هدية؟

لم تجب مابو على الفور، بل نظرت حولها في الجهات الأربعة نظرات سريعة. كانت تبدو أنها تتأكد من عدم وجود أحد يراها. كانت الصالة في ذلك الوقت في حالة سكون تام. يسود الصمت على المكان. ابتسمت مابو بملامح متشنجة، ثم وضعت كفها على فمها بالعرض، ثم فتحت فمها باتساع، ثم بوَّزت فمها وسحبت ذقنها للخلف، ثم فتحت فمها نصف فتحة ثم أومأت موافِقة، ثم فتحت فمها بثلثَي اتساعه، ثم مرةً أخرى أومأت بالموافقة. بمعنى أنها كانت تُرسل إشارةً صوتية من خلال شكل فمها فقط دون أن يخرج من فمها أي صوت. فهمتُ على الفور. كانت تقول: فـ... يـــ... مـــ...ـا بـ... عـــ... دا!

فهمتُ على الفور ولكنني تعمدتُ أن أقلِّدها بنفس حركات فمها وأعيد لها السؤال: فـ... يـ... مـ...ـا بـ... عـ... د!

كررتْ نفس الحركات وهي تضع فاصلًا بين كل حرف وحرف وترسل الإشارة الصوتية وهي تهز رأسها بظرف كبير مثل الأطفال، ثم هزَّت كفها التي كانت تضعها على فمها بالعرض هزات خفيفةً وكأنها تقول سر، سر، ثم هزَّت كتفها برشاقة وهي تضحك ثم جرت بخطوات وئيدة إلى العنبر المنفصل.

همستُ لنفسي: فيما بعد! الولادة أسهل من التفكير فيها![1] ورميت نفسي على سريري متدحرجًا عليه. لا أعتقد أن ثمة ضرورةً لشرح مقدار سعادتي، وسوف أترك كل شيء لتقديرك.

ثم ليلة أمس في وقت التدليك، تسلَّمت من مابو تلك الهدية التي قالت عنها «فيما بعد». منذ صباح أمس، كانت مابو كأنها تخفي شيئًا تحت مريولها، وتتسكع في الردهة بما يعني شيئًا، وفكرتُ أن ربما تكون هديتي مخبأةً تحت ذلك المريول، ولكن شعرتُ أن الاقتحام عليها من نفسي بصفاقة وقول «ماذا حدث؟» سيكون موقفًا في منتهى الخزي؛ ولذا تظاهرتُ بعدم ملاحظة شيء. ولكن كما توقعت كانت تلك هي هديتي.

في وقت التدليك الساعة السابعة والنصف ليلة أمس، كان الدور على مابو بعد غياب أسبوع تقريبًا لكي تدلكني، فحملت مابو الطست المعدني، وأخفت يدها اليمنى تحت المريول التي بها هديتي، جاءت وهي تبتسم ابتسامةً ذات مغزًى، ثم انحنت بجانب السرير وهي تقول: لأنك لا تأتي لتأخذها يا مشاكس! منذ الصباح أنتظرك تأتي للردهة عدة مرات.

ثم فتحت أحد أدراج السرير وبسرعة وضعت داخله الهدية من تحت مريولها ثم أغلقت الدرج غلقًا محكمًا وأضافت: لا تقل لأحد! لا تقل لكائن من كان!

أومأتُ لها مرتين أو ثلاث مرات وأنا نائم كما أنا على سريري، فبدأت في عمل التدليك.

– مرت فترة على عملي لك تدليكًا في آخر مرة يا هيباري. دورك لا يأتي لي بسهولة؛ ولذا لم أدرِ ماذا أفعل حتى عندما كنت أريد أن أعطيك الهدية.

[1] مَثَل ياباني قديم معناه أن حدوث الأمور يكون أخف وطأةً ممَّا قد يفكر فيه المرء، مثل الولادة التي ترى الأم أنها ستكون صعبةً وعويصة، ولكنها تمر على خير وبسهولة أكثر مما كانت تتوقع. (المترجم)

وضعتُ يدي على عنقي وتظاهرتُ بربطها وأنا أسألها سؤالًا صامتًا بما معناه رابطة عنق، فمطَّت شفتها السفلى لكي تنفي ذلك قائلةً وهي تضحك «لا»، ثم همست قائلة: «أحمق!»

في الواقع أنا أحمق فعلًا. تُرى لِم فكرت في رابطة عنق وأنا أصلًا لا أملك بذلة؟ أنا نفسي اندهشت من نفسي! ولكن ربما قادتني مرآة الجيب الصغيرة تلك إلى التفكير في رابطة العنق.

٥

ثم جرَّبت أن أسألها بما معناه قلم حبر، وأنا أتظاهر بالكتابة بيدي اليمنى. في الواقع إنني رجل أناني؛ فيبدو أن رغبة الحصول على قلم حبر جديد كانت كامنةً في عقلي الباطن بسبب أن قلمي الحالي ساءت حالته مؤخرًا، وظهرت فجأةً وقتها. لقد أحسستُ داخلي بالامتعاض من وقاحتي.

وكما توقَّعت هزَّت مابو عنقها أفقيًّا بالنفي قائلة: «كلا.» ولم أعد أستطيع التخمين مجددًا.

– ربما تكون الهدية متواضعة، ولكن أرجو منك ألَّا تتنازل عنها لأحد. كانت هي الوحيدة المتبقية في المحل، وزينتها كذلك ليست فاخرة، ولكن أرجو أن تحملها عند خروجك من هنا؛ فأنت يا هيباري رجل أنيق ومن المؤكَّد أنك ستحتاجها.

لم أفهم شيئًا حتى النهاية، فقلت وأنا أبدِّل وضعية نومي: شكرًا لك على كل الأحوال.

– ماذا تقول؟ يا لك من طفل شارد الذهن! عالج نفسك سريعًا واخرج من هنا!

– لا شأن لك بذلك، بل سأظل هنا حتى الموت!

– ماذا؟! لا تقل ذلك! فهناك من سيبكي عليك.

– أنتِ؟

– مغرور، أنا لن أبكي، من المستحيل أن أبكي!

– أنا أيضًا أعتقد ذلك.

– حتى إن لم أبكِ أنا، هناك كثيرات سيبكين.

ثم فكرتْ لحظة وأكملت: ثلاثة، كلا بل أربعة؟

– لا معنى من البكاء.

قالت بعناد: بل ثمة معنًى.

ثم قربتْ فمها من أذني وأضافت: تاكي سان، والسمكة الذهبية وبصلة وحمى الشيطان.

كانت تعد كل واحدة منهن على أصابع يديها اليسرى، ثم ضحكتْ عاليًا وهي تقول: يا فرحتي!

فقلت وأنا أضحك: هل حمى الشيطان تبكي؟

في تلك الليلة كان التدليك ممتعًا؛ فلم أعد كما كنتُ سابقًا أتخشَّب تجاه مابو، وشعرتُ كأنني أنظر على الجميع من ربوة عالية، واستطعت المزاح معها بحرية، وربما كان كل ذلك بسبب أنني تخلَّيت تمامًا خلال مدة نصف الشهر الفائت عن رغبتي الخانقة في أن تحبني مابو، وقضيت وقتًا ممتعًا بلا أي عائق في القلب لدرجة أدهشتني أنا شخصيًّا. أن تُحِب أو تُحَب، أمر يشبه أوراق الشجر التي تُحدث ضوضاء مع ريح شهر مايو. ما من أي تعلُّق بالذات. لقد قفز الرجل الجديد مجدَّدا قفزةً أخرى.

انتهى التدليك في تلك الليلة، وفي وقت التقارير، وأنا أستمع من خلال مكبرات الصوت إلى الأنباء تقول إن جيش الاحتلال الأمريكي سيدخل أخيرًا هذا الإقليم، بحثتُ في أدراج سريري وأخرجت هدية مابو، وفككت لفافتها.

لفة صغيرة مربعة الشكل بطول عشرة سنتيمترات لكل ضلع، وبداخلها علبة لحفظ السجائر، وبذلك فهمت كلمتها الغامضة التي قالتها منذ قليل: «أرجو أن تحملها عند خروجك من هنا؛ فأنت يا هيباري رجل أنيق ومن المؤكد أنك ستحتاجها.»

أخرجتها من الصندوق وأثناء تقليبها وفحصي لها شعرت نوعًا ما بحزن شديد. لم أكن سعيدًا، ولا يبدو أن ذلك بسبب نشرة الأخبار السيئة فقط.

٦

كانت علبة مستوية ذهبية اللون مصنوعة من معدن يشبه الكروم يستخدم في صناعة سكاكين قطع الكعك، المسمى ستانلس ستيل! وعلى الغطاء تصميم بخيوط سوداء رفيعة متشابكة تشبه تصميمات أغصان الورد، وصُبغت حواف ذلك الغطاء بمادة تشبه الميلامين لونها أحمر غامق. ربما كان عدم وجود الميلامين أفضل؛ فبسبب وجود تلك الزينة غير الضرورية من الميلامين جعل العلبة كما قالت مابو متواضعة، وكذلك جعلها ليست فاخرة. ولكن في كل الأحوال يجب عليَّ الاحتفاظ بها بعناية ما دامت مابو هي التي اشترتها خصوصًا لي.

ولكنني كنتُ غير سعيدة لسبب مجهول. من غير اللائق قول ذلك تجاه هدية أُهديت لي ولكنني لا أشعر بأي فرحة على الإطلاق. كانت تلك هي التجربة الأولى في أخذ هدية من امرأة غريبة، ولكنه في الواقع شعور سيئ يجعل الصدر ضيقًا حرجًا بدرجة مريبة. أمر يترك بعده مذاقًا رديئًا جدًّا. أخفيت العلبة في أعمق مكان من قاع من الدرج. أريد أن أنسى ذلك الأمر سريعًا.

إن تلك العلبة بالنسبة لي صعب التعامل معها تجعلني لا أنطق بكلمة، إلا أنني أردت من خلالها أن أبين لك ولو قليلًا، كم هي جيدة مابو. وكان ذلك هو سبب كتابتي لك هذه الرسالة لأعلامك بما حدث. ما رأيك؟ هل تحسَّنت نظرتك عن مابو قليلًا؟ أم ما زلت تفضِّل تاكي سان؟ أرجو منك أن تُسمعني انطباعك.

لقد انتقل اليوم الخبز الجاف من غرفة «البجع» المجاورة إلى سرير ذيل الحصان الذي فرغ. اسمه غورو سوناغاوا وعمره ستة وعشرون عامًا. وسمعتُ أنه كان طالبًا في كلية القانون، وهو ذو شعبية لا بأس بها. بشرته خمرية وحاجباه عريضان وعيناه جاحظتان يضع عليهما نظارة نظر بعدستين مستديرتين، له أنف نسرية، لا يعطي انطباعًا حسنًا، ومع ذلك، سمعت أن المساعِدات جميعهن يهمن به ويصخبن حوله. يبدو أن الرجل كلما كان مكروهًا من الرجال أحبَّته النساء أكثر. من خلال ظهور الخبز الجاف، بات هواء غرفة الكرز معكَّرا كئيبًا بدرجة مريبة. كان كابُّوريه يكره الخبز الجاف بالفعل. وجَّهت المساعِدات أسئلةً عديدة إلى الخبز الجاف عن اللغة الإنجليزية قبل وجبة العشاء وأثناء التدليك: أرجوك علِّمني! كيف أقول عذرًا! باللغة الإنجليزية؟

قال الخبز الجاف بتصنُّع مقيت: أي بيغ يور باردون!

– صعب عليَّ حفظ ذلك. أمَا من طريقة أسهل؟

قال بتصنُّع أكثر: فيري سوري!

فقالت مساعِدة أخرى: ليس هذا ما أود قوله. أريد أن أقول: أرجوك اهتم بنفسك وصحتك. كيف يمكن قول ذلك؟

– بليز تيكِّير أوف يور سلف.

نطق كلمة take care هكذا: تيكِّير، بمنتهى التكلف والغرور.

ومع ذلك كانت المساعِدات تسمع ذلك في انبهار شديد وإعجاب. ويبدو أن كابُّوريه انزعج من لغة الخبز الجاف الإنجليزية أكثر مني، فغنَّى لي بصوت هامس أغنية دودويتسو إياها التي يفخر بها.

«في النهاية دكتور أو وزير، أما الطالب فمفلس بلا مال».

غنَّى ما يشبه هذا المعنى، في كل الأحوال كان في حالة ارتباك وهو يحاول أن يكبح جماح الخبز الجاف.

إنني على كل حال في صحة جيدة. واليوم عند الوزن زاد بمقدار كيلوغرام ونصف الكيلو. تحسُّن مؤكد!

٩ سبتمبر

الصحة العامة

١

لي مدة وأنا أكتب لك عن النساء فقط، وكسَّلت عن إخبارك عن زملائي القدامى في الغرفة؛ لذا دعني اليوم أحدِّثك عن أخبار طلاب «غرفة الكرز». لقد حدث أمس عراك في غرفة الكرز. أخيرًا واجه كابُّوريه الخبز الجاف بشجاعة.

والسبب مخلل ثمار البرقوق.

القصة معقَّدة بدرجة كبيرة. يملك كابُّوريه وعاءً من خزف «سيتو» الشهير، ويضع فيه مخلل ثمار البرقوق ويحتفظ به في الدرج تحت سريره ويتناول منه في كل وجبة، ولكن مؤخرًا بدأ العفن يظهر على المخلل، ففكَّر كابُّوريه أن السبب هو الوعاء الخزفي. لا شك أن الغطاء لا يغلق فتحة الوعاء بإحكام ما جعل الجراثيم تتسلَّل داخله وتكون النتيجة أن يتعفن. كابُّوريه شخص محب للنظافة جدًّا. ويقلق من القذارة دائمًا. ظل كابُّوريه مدةً يفكِّر ويبحث في قلق وحيرة عن وعاء مناسب. وفي وجبة الفطار أمس، رأى كابُّوريه بطرف عينيه جاره الخبز الجاف يُخرج زجاجةً يحفظ البصل المخلل فيها ويأكل منه مع كل وجبة، وكانت قد فرغت، ففكَّر أنها مناسبة؛ ففتحتها واسعة وغطائها يُغلق بإحكام، ولا يستطيع أي نوع من الجراثيم التسلُّل إلى داخلها، ومن المؤكد أن الخبز الجاف سيُعيرها له ما دامت قد فرغت بالفعل من البصل المخلَّل. التوسل إلى الخبز الجاف أمر يضايقه، ولكن مهما كان الأمر ثمة ضرورة قصوى لحصوله على تلك الزجاجة لكي يمنع تسلُّل الجراثيم إلى المخلل. يجب إعطاء الأهمية للصحة العامة. هكذا فكَّر كابُّوريه ثم بعد انتهاء الطعام طلب من الخبز الجاف بوجل أن يعيره الزجاجة.

نظر الخبز الجاف إلى كابُّوريه وجمًا لوجه وقال: ماذا ستفعل بمثل هذا الشيء؟

سبَّبت طريقة كلامه تلك في إشعال غضب كابُّوريه؛ فلقد كانت الأوضاع بين هذين الرجلين من قبلُ تنذر بالسوء؛ فمع أن كابُّوريه كان يُعَد أكثر الرجال وسامةً في صالة الألعاب الصحية هذه، ولكن زادت سمعة الخبز الجاف كرجل وسيم بدرجة لافتة للأنظار، فخفَّت شعبية كابُّوريه، وكان ذلك سببًا في غيظه.

– هذا الشيء؟ هل هذه طريقة في الكلام يا سيد سوناغاوا؟

كانت طريقة كلام كابُّوريه أيضًا مريبة.

– لا تعجبك؟

لم يفرج الخبز الجاف عن أسارير وجهه؛ فهو رجل غليظ المشاعر ومتصنِّع في كل الأحوال.

– ألَا تفهم؟

خضع كابُّوريه بالقول قليلًا، فأجبر نفسه على أن يبتسم ابتسامةً مصطنعة، ثم قال بغرابة أكثر: هل أطلب منك استعارة ذيل خنزير مثلًا؛ فقولك لي هذا الشيء بدون مراعاة مشاعري، تجعلني في حرج بالغ.

– أنا لم أقل ذيل خنزير ولا غيره.

– أنت رجل لا تفهم شيئًا!

قال كابُّوريه ذلك بقليل من الحمية. ثم أضاف: حتى لو افترضنا أنك لم تقل ذيل خنزير، فهذا ما فهمته أنا فلا حيلة في ذلك. لا تعاملني معاملة الحمقى! الطالب الجامعي أو الجصَّاص سواسية، أليس كلنا مواطنين يابانيين؟ يا لجراءتك في أن تعاملني معاملة ذيل خنزير! إن كنتُ أنا ذيل خنزير، فأنت ذيل سحلية! لا فضل لأحد على أحد. أنا لست متعلمًا، ولكنني على الأقل أعرف أهمية الصحة العامة. الإنسان إن لم يكن عارفًا بالصحة العامة، سيكون مثل الكلب.

بدأ كلامه يتحوَّل إلى لغة غير مفهومة مطلقًا.

٢

لم يشتبك الخبز الجاف معه، بل وضع ذراعيه خلف رأسه ونام على ظهره في سريره، وبدا أنه رجل رابط الجأش. جلس كابُّوريه على سريره متربعًا، وأخذ يهز جسمه للأمام وللخلف ويمينًا ويسارًا، ويكشف عن صدره أحيانًا ثم يضرب ركبتيه بقبضة يده أحيانًا، في حركات عصبية متواصلة.

– أنت! هل تسمعني؟ أيها الطالب! لا أتوقع أنك تستخدم رياضة الجودو! فثمة طلاب جامعيون يستخدمونها أحيانًا ممَّا يجعلني في خوف. أعتذر لك عن ذلك. هل تسمعني؟ دعني أقولها لك بوضوح، ما من مكان في صالة الألعاب هذه لممارسة رياضة الجودو، وهي كذلك ليست صالة ألعاب لتدريب وتأهيل الرجال ليكونوا محطِّمي قلوب العذارى. لقد قال كيوموري مدير الصالة ذلك في محاضرة له مؤخرًا: أنتم لاعبون، لاعبون يُظهرون دليل الشفاء التام المؤكد لليابان بأكملها. أتذكر أنه قال: أتمنى منكم تقدير واحترام ذواتكم. لقد سالت دموعي عندما سمعت منه ذلك. ليس من الشجاعة أن يرى الرجل الحق ولا يفعله، كما يقول المثل، ويمكن أن تنقسم الشجاعة إلى شجاعة كبرى وشجاعة صغرى؛ ولذلك فالأخلاق الثلاثة وهي الحكمة والفضيلة والشجاعة هامة للإنسان. بالتأكيد ما من مشكلة مطلقًا في أن يكون الرجل محبوبًا من النساء.

كان كلامه كله متناقضًا وبلا معنًى، ومع ذلك صرخ كابُّوريه بصوت عالٍ ووجه شاحب مزرق قائلًا: ولذلك، بسبب ذلك، من الطبيعي جدًّا أن تُصبح الصحة العامة مهمة. دائمًا، الصحة العامة والحذر من الحرائق؛ لذلك هذا ما أريد قوله. لا يجب بأي حال مقارنة الإنسان بذيل خنزير.

تدخَّل أسد إتشيغو للتوسط بينهما قائلًا: كفى! توقف.

كان أسد إتشيغو نائمًا في صمت على سريره، ولكنه وقتها نزل من السرير بعشوائية، وربت على كتف كابُّوريه من الخلف وهو يقول له: كفى! توقف، بلهجة تمتلئ بالمهابة.

التفت كابُّوريه للخلف تجاه أسد إتشيغو وحضنه. وهكذا دفن وجهه في صدر أسد إتشيغو وراح يبكي بحُرقة ونشيج متقطع. وتجمَّع في الردهة خمسة أو ستة طلاب من الغرف الأخرى وهم ينظرون تجاهنا لمراقبة الوضع.

زعق أسد إتشيغو في الطلاب المتجمِّعين في الردهة قائلًا: لا يجب عليكم مشاهدة هذا! حتى هنا كان سلوكه رائعًا، ولكن بعد ذلك كان سيئًا قليلًا.

– هذا ليس عراكًا! إنه مجرد ... مجرد ... إممم ... مجرد ... مجرد ... إممم.

ظل يزمُّ بفمه محتارًا ثم نظر ناحيتي نظرةً سريعة وقال بصوت خفيض: إنها مسرحية!

استعاد إتشيغو عافيته وصرخ: مجرد تأثير مسرحي.

ولم أفهم ماذا يعني بالتأثير المسرحي، ولكني أعتقد أنه ظن أن قول ما تعلمه من الشباب مثلي كما هو سيضر كبرياءه؛ ففي لمح البصر ابتكر كلمة التأثير المسرحي العجيبة تلك وصرخ بها. ربما كان الكبار كلهم يعيشون بتلك الحالة المتكلفة.

كان كابُّوريه في هيئة الشبل الصغير الذي يأخذه أبوه الأسد في حضنه، ويبكي بحرقة وهو يهز وجهه، وبدأ يشتكي شكوى مرةً بنبرة صوت غير مسموعة ولسان لا يستقيم له بيان.

٣

«لم يسبق لي أن أصابني الخزي والعار لهذه الدرجة في حياتي. لقد تربَّيت تربيةً حسنة، حتى أبي لم يسبق له أن ضربني، ورغم ذلك، أُعامل معاملة ذيل خنزير! فأصابني غضب شديد، رغم أنني لم أفكر إلا في أن أحييه التحية الطبيعية، وأختار أفضل الكلمات. حقًّا لم يكن في نيتي إلا مخاطبته بأفضل الكلمات. ومع ذلك ظل نائمًا على سريره يتظاهر بعدم معرفة ما أقول. ما هذا السلوك! ما جعلني أندم وأشعر بالأسف. ما هذا السلوك؟! رغم أنني اخترت أفضل الكلمات في حوراي معه، لكنه يتصرف هكذا! لقد كرهتُ هذا المجتمع كله، رغم أنني أختار أفضل ...»

وتدريجيًّا بدأ يكرِّر نفس كلامه مرة.

أنام إتشيغو كابُّوريه على السرير برفق وهدوء. نام كابُّوريه موجهًا ظهره ناحية الخبز الجاف، وغطَّى وجهه بيديه، وظل لفترة من الوقت يشهق بالبكاء. وأخيرًا بدا أنه نام فهدأ، وفي وقت تمارين الانحناء والتمدد الساعة الثامنة، ظل بنفس ذلك الوضع لا يتحرك.

كان عراكًا غريبًا، ولكن، في وقت وجبة الغداء عاد كابُّوريه إلى حالته الطبيعية، وغسل الخبز الجاف زجاجة مخلل البصل إياها جيدًا وأتى بها ثم قال: تفضَّل! وأعطاها له بجدية، وقتها انحنى بسرعة وقال: عذرًا. ثم أخذها منه. وبعد انتهاء وجبة الغداء، نقل مخلل البرقوق واحدةً بعد أخرى من وعاء سيتو الخزفي إلى زجاجة البصل بمتعة. وعندها قلت لنفسي: لو كان كل الناس في المجتمع بنفس براءة وتلقائية كابُّوريه، لأمست الحياة فيه أسهل ممَّا هي عليه الآن.

سأكتفي بهذا القدر من الحديث عن العراك، وبالمناسبة أقدم لك تقريرًا بسيطًا آخر.

في جلسة التدليك بعد ظهر اليوم كان الدور على تاكي سان. فحدثتُها قليلًا عنك: ثمة رجل يقول إنه يحبك جدًّا يا تاكي سان.

تاكي سان لا تتكلم تقريبًا أثناء التدليك. تظل دائمًا في صمت مبتسمةً ابتسامة محببة.

– يقول إنك أفضل من مابو ألف مرة.

– من هو؟

أخيرا تحدَّثت أميرة الصمت بصوت خافت. يبدو أنها أعجبت كثيرًا بمديح أنها أفضل من مابو. يا لضحالة المرأة!

– هل فرحتِ؟

– لا أحب ذلك.

قالت تلك الكلمة فقط ثم واصلت التدليك بعنف قليل. قضَّبتْ من حاجبيها بوجه بدا عليه المزاج السيئ.

– هل غضبتِ؟ إنه رجل صالح حقًّا. إنه شاعر.

فقالت وهي تمسح العرق عن جبينها بيدها اليسرى: أمر مقزز. إنك يا هيباري لست في حالة طبيعية مؤخرًا.

– حقًّا؟ إذن لن أُخبرك أكثر من ذلك.

ظلَّت تاكي سان صامتة. واصلت التدليك صامتة. انتهى التدليك، وعندما حان وقت رحيلها، رفعت خصلات شعرها المتدلية، وابتسمت ابتسامةً غامضة وقالت: فيري سوري!

على الأرجح إنها تقصد أن تقول أعتذر لك. إن تاكي سان كذلك ليست سيئةً مطلقًا. ما رأيك؟ ألَا تستغل وقتًا فارغًا لديك وتأتي لزيارة صالة الألعاب؟ سأجعلك تقابل تاكي سان التي تحبها حبًّا جمًّا. أعتذر، كنت أمزح. لقد بات الطقس يميل للاعتدال صباحًا ومساءً. إن هذا هو حقًّا وقت الاهتمام بالصحة العامة والحذر من الحرائق. أرجو منك أن تتعلم تعليم شخصين، لي ولك.

٢٢ سبتمبر

زهور القُسموس

١

لقد استمتعتُ بقراءة ردك على الفور. لا بد أن الدراسة في المدرسة الثانوية يجعلك منشغلًا جدًّا وأنك تعبت من كتابة هذه الرسالة الطويلة. لا ضرورة بعد الآن للرد على كل رسائلي إليك واحدةً بعد أخرى برد طويل، وأقلق من أن يعيق ذلك دراستك.

لقد وبَّختني بقولك: لا يجب أن أقول ما قلتُ لتاكي سان. أعتذر لك عن ذلك، ولكنني لا أستطيع موافقتك على قولك: «إنني لم أعد قادرًا على زيارتك.» إنك جبان جدًّا. لا يمكن وصفك بالرجل الجديد ما لم تأتِ على الرغم من كل شيء وتلقي تحيةً سريعة على تاكي سان. أنت تتخلَّى بذلك عن جاذبيتك للنساء، ثمة كلمة تقول: كل الشعر محتواه «لا شرور في القلب» دعنا نجتهد في أن نكون عفويين. لقد قلتُ مؤخرًا لجاري أسد إتشيغو: إن أحد أصدقائي يدرس الشعر.

فقال لي على الفور حكمًا قاطعًا في منتهى العنف بقوله: الشعراء مغرورون.

ولذا غضبتُ قليلًا ورددتُ عليه قائلًا: ولكن ألَا يُقال منذ القدم إن الشعراء هم الذين يجدِّدون اللغة؟

ابتسم أسد إتشيغو ابتسامةً صفراء وأجاب بعشوائية: أجل. يجب العثور على ابتكارات لهذه الأيام.

قلتُ لنفسي إن إتشيغو يقول أحيانًا أقوالًا معتبرة. أعتقد أنه أمر انتبهتَ إليه أنت لأنك إنسان ذو عقل وحكمة، ولكن أرجو منك أن تُظهر وجهك الحقيقي بصفتك رجلًا جديدًا في كل ما يتعلق بك من الآن وخاصةً في تعلُّمك للشعر. قد يبدو ذلك القول متكبرًا بدرجة مريبة، ولكن كل ما في الأمر أنني أردت فقط أن أقول لك لا تلقِ بالًا إلى ما قالته

تاكي سان، وأنا أنصحك أن تستجمع شجاعتك وتأتي لزيارة هذه الصالة للقاء تاكي سان، وعندما تراها على الطبيعة ستزول على الفور كل أوهامك عنها كانقشاع السحاب وتبدُّد الضباب؛ ففي كل الأحوال هي ضخمة فقط مثل سمك الأسبور العملاق. وتبدو أنك بتَّ مولعًا بأمرها؛ فرغم أنني بذلتُ كل جهدي في الكتابة للتأكيد على ظرف وجمال مابو، ترد أنت بقولك: «يبدو أن الفتاة التي تُسمى مابو تشبه ممثلات السينما الرديئات.» أي إنك لا توافقني على رأيي مطلقًا، ولا تتحدَّث إلا عن تاكي سان فقط، ممَّا أدهشني! وقرَّرت أن أتوقف لفترة عن الكتابة لك بشأن تاكي سان؛ فمن الخطورة أن أزيد من حماسك أكثر من ذلك فتسقط صريع المرض.

هل أكتب لك اليوم عن الهايكو الذي أَلَّفه السيد كابُّوريه؟ تقرر أن تُعرض الأعمال الأدبية للطلاب في وقت الإذاعة الترفيهية يوم الأحد القادم، وعلى من لديه ثقة بنفسه في كتابة أشعار الهايكو والواكا، أن يقدِّم أعماله للإدارة حتى مساء غد. فقرَّر كابُّوريه أن يتقدَّم بأشعاره من الهايكو التي يبرع فيه ممثلًا لنا نحن طلاب غرفة الكرز، ومنذ يومين أو ثلاثة أيام وهو يضع القلم الرصاص على أذنه ويجلس مفترشًا فوق سريره ويميل بعنقه يؤلف الهايكو بجدية بالغة. وأخيرًا قال صباح اليوم إنه انتهى من التأليف وكتب عشرة قصائد تقريبًا في ورقة كتابة وعرضهم علينا نحن زملاءه في الغرفة. عرضها على الخبز الجاف أولًا، فابتسم الخبز الجاف ابتسامةً متكلفة وقال: أنا لا أفهم في الشعر.

وأعاد له تلك الورقة على الفور، ثم عرضها بعد ذلك على أسد إتشيغو وطلب منه تقييمها، فقال: شنيعة.

فقلت لنفسي لو قال غير بارعة لهان الأمر، ولكن تقييمه بكلمة شنيعة أمر قاسٍ.

٢

شحب وجه كابُّوريه وسأله: أَلَا تنفع؟

قال إتشيغو وهو يُشير بذقنه تجاهي: اسأل ذلك الأستاذ.

جاء كابُّوريه تجاهي حاملًا الورقة. ولأنني لستُ مثقَّفًا؛ فأنا لا أفهم بتاتًا المعنى الكامن في الهايكو؛ ولذا كانت لديَّ رغبة أن أرد له الورقة مباشرةً مثل الخبز الجاف وأطلب إعفائي من التقييم، ولكنني أشفقت عليه، وأردتُ أن أواسيه بقدر الإمكان؛ لذا مع عدم فهمي للشعر قرأت على أي حال كل القصائد العشر تلك، وكان رأيي أنها ليست بتلك

الدرجة الشديدة من الرداءة. يمكن القول عنها إنها عادية جدًّا، قصائد عادية جدًّا، ولكن مع ذلك، إن حاولت أنا تأليفها فسيصعب عليَّ ذلك جدًّا.

مثل ذلك الشعر الذي يقول: قلب عذراء يتفتح باضطراب كأقحوان بري! غريب نوعًا ما، ولكنني لا أعتقد أنه رديء لدرجة الغضب والقول عنه إنه شنيع! ولكن عندما وصلت إلى آخر قصيدة ارتاح قلبي، وفهمت جيدًا سبب غضب أسد إتشيغو العارم.

دنيا زائلة، كزوال الندى، وكأنها ندًى!

كان تفكيري: شعر مَن هذا؟! هذا شنيع! ولكنني كذلك لا أريد أن أقول ذلك بوضوح علانيةً وأسبِّب الإحراج لكابُّوريه.

– أعتقد أنها جميعًا جيدة ولكنني أرى من الأفضل لو تغيِّر القصيدة الأخيرة بغيرها. في كل حال هذا رأي شخص غير خبير.

– حقًّا؟

بدا على كابُّوريه التذمر وزمَّ مقدمة فمه.

– مع أنني أرى أنها أفضل قصيدة بين الجميع.

لا عجب أنها جيدة؛ فهي قصيدة شهيرة حتى أنا الذي ليس لي أية علاقة بالهايكو أعرفها.

– لا شك في أنها رائعة.

أصابتني الحيرة قليلًا. اغتر كابُّوريه وتحدَّث بلهجة بها بعض الاحتقار تجاهي: هل تفهمها؟ أنا أعتقد أن شعوري الحقيقي تجاه دولة اليابان الآن متضمَّن في هذه القصيدة. ألم تفهم ذلك؟

فسألته بدوري على الفور دون أن أبتسم: وما ذلك الشعور الحقيقي؟

– ألَا تفهم؟

قضَّب كابُّوريه حاجبَيه وكأنه قيل له يا لك من رجل أحمق! وقال: كيف تفكِّر في مصير اليابان اليوم؟ أليست دنيا زائلة؟ هذه الدنيا الزائلة الآن مثل الندى الزائل، ولكن يجب عليكم أيها الشباب السعي للأمام في سبيل المجد. حذارِ من التشاؤم الفارغ! ألَا يأتيك هذا المعنى؟ هذا هو معنى شعوري الحقيقي تجاه اليابان. هل فهمت؟

ولكن في الحقيقة كان شعوري الداخلي أنني أُخذت على حين غرة. أليس من المفترض يا عزيزي أن هذه القصيدة كتبها إيسَّا كوباياشي لكي يعبِّر عن مشاعره عندما فقد طفله بالموت فقال إنه قد يئس من الحياة الزائلة، ولكنه رغم ذلك لا يستطيع اليأس بسبب

الحزن. أليس هذا شنيعًا؟ لقد قلب المعنى رأسًا على عقب. ربما كان ذلك ما عناه إتشيغو بابتكارات هذه الأيام، ولكنه أمر في منتهى الشناعة. أوافق على مشاعر كابُّوريه الصادقة، ولكن في كل الأحوال السطو على شعر شاعر راحل واللهو به وإعطاؤه معنًى مخالفًا بما يحلو له أمر شرير، وعلاوةً على ذلك رأيتُ أن تقديم هذا الشعر إلى الإدارة على أنه شعر كابُّوريه أمر يمس كرامة المقيمين في غرفة الكرز هذه كلهم؛ لذا تشجَّعت وقلت له بكل صراحة.

– ولكن ثمة شعر يشبه هذا تمامًا لشاعر قديم. لا أعتقد أنك سطوت عليه، ولكن أظن أنه من الأفضل تغييره بشعر آخر حتى لا يُفهم ذلك خطأ.

– هل ثمة شعر يشبهه؟

فتح كابُّوريه عينيه على اتساعهما ونظر لي. كانت تلكما العينين صافيتين لدرجة تجعلني أزفر زفرة أسى. راجعت أفكاري وقلت لنفسي ربما إنه من الممكن أن يحدث أحيانًا في نفسية متبجِّحي الهايكو أن يسطو على شعر دون أن ينتبه لذلك. إنه في الواقع مجرم، وبراءة الأطفال في عينيه. إنه حقًّا بريء تمامًا من أية نية في الشر.

– حسنًا، لقد بات الأمر مملًّا. المشكلة أن الهايكو يتكرَّر فيه ذلك أحيانًا؛ فمهما قلنا فالقصيدة ليس بها إلا سبعة عشر حرفًا فقط؛ ولذا تنشأ قصائد متشابهة.

يبدو أن كابُّوريه سارق أشعار متمرس.

– حسنًا، بذلك نحذف هذه القصيدة.

ثم شطب بالقلم الرصاص الذي يضعه على أذنه قصيدة الدنيا الزائلة بسهولة شديدة، ثم وضع الورقة فوق المكتب الصغير المجاور لسريري وكتب شيئًا ما سريعًا ثم قال: وبدلًا منها ما رأيك في هذه؛ أزهار القسموس، رقص الظلال، سرير من العشب الجاف؟

قلت له بارتياح: عظيمة جدًّا.

ارتحت الآن بغض النظر عن مدى جودة أو رداءة القصيدة، ما دامت ليست مسروقة.

– بالمرة ما رأيك لو عدَّلتها لتكون ظلال القسموس؟

من شدة ارتياحي قلت ما لا داعي له.

– هل تقصد أن تكون ظلال أزهار القسموس الراقصة سريرًا من العشب الجاف؟ فهمت. هكذا تتضح صورة الظلال أكثر. أنت رائع!

قال ذلك ثم ضرب ظهري ضربةً بيده.

– أنت داهية!

احمرَّت خدودي خجلًا، ولم أستطِع الهدوء.

– لا يجب أن تتملَّقني، ربما كان الأصل أفضل؛ فأنا لا أفهم شعر الهايكو مطلقًا، ولكنني شعرت فقط أن ظلال القسموس تكون سهلةً ومفهومة لنا.

كان صوت عقلي يصرخ داخلي أن كل هذا لا أهمية له.

ولكن يبدو أن كابُّوريه بدأ يُكن لي الاحترام والتبجيل، وطلب مني بملامح وجه جاد تمامًا ليس فيها أي قدر من المجاملة أن أتقبَّل استشاراته في الهايكو مستقبلًا، ثم عاد إلى سريره وهو يمشي بطريقة مشيه تلك المتفائلة حيث يمشي على أطراف أصابعه بزهو خطوةً بعد خطوة يهز ردفيه، وودَّعته أنا بنظري وأنا أشعر أنني عاجز عن مضارعته مهما فعلت، وكنت أفكِّر أن دور مستشار الهايكو سيكون في الواقع أكثر إزعاجًا من أغاني دودويتسو المتذمرة، ولم يهدأ لي بال فتوجَّهت بالحديث بلا وعي إلى إتشيغو شاكيًا بمشاعر منزعجة قائلًا: لقد أضحى الوضع مُريعًا.

حتى الرجل الجديد هُزم أمام هايكو كابُّوريه.

أومأ لي أسد إتشيغو بصمت إيماءةً ثقيلة.

ولكن لم تنتهِ القصة عند هذا الحد؛ لقد ظهرت حقيقة تُثير الدهشة.

في وقت التدليك الساعة الثامنة من صباح اليوم، كانت مابو هي التي عليها الدور لتدليك كابُّوريه، فاندهشت جدًّا عندما سمعته يُحدِّثها بصوت هامس قائلًا: قصيدتك يا مابو التي ذكرت فيها أزهار القسموس، إنها جيدة ولكن انتبهي، من الأفضل القول ظلال أزهار القسموس وليس أزهار الكوسموس ظلالها.

صدمة! هذا الشعر من تأليف مابو!

٤

على ذكر ذلك، فقد كانت تلك القصيدة بها إحساس أنثوي. إذن، القصيدة الغريبة التي تقول قلب عذراء يتفتَّح باضطراب كأقحوان بري! مشكوك فيها أيضًا. من المؤكد أنها أيضًا من تأليف مابو أو مساعِدة غيرها، ونوعًا ما باتت قصائد الهايكو العشر تلك مشكوكًا فيها كلها بالنسبة لي. إنه في الواقع إنسان شنيع. لقد تعكَّر مزاجي حقًّا، سواء قصيدة الدنيا الزائلة أو قصيدة أزهار القسموس حتى لو لم أُبالغ بالقول إنه فالأمر يتعلَّق بكرامة غرفة الكرز هذه، ولكن كمشكلة تتعلق بشخصية كابُّوريه، فقد كنت في منتهى القلق من المصير

الذي سيئول إليه هذا الأمر، ولكنني كذلك بعد سماعي لباقي الحوار بين كابُّوريه ومابو ارتحت وبتُّ أشعر بمشاعر في منتهى المتعة.

– قصيدة القسموس؟ أيها؟ لقد نسيت.

كانت مابو تتحدث باسترخاء: حقًّا؟ فقد كانت تلك قصيدتي إذن.

قال ذلك ببساطة.

– أليست قصيدة حُمى الشيطان؟ فأنت منذ فترة تتبادل قصائد الهايكو معها في الخفاء أليس كذلك؟

– لو كان الأمر كذلك فهل هي قصيدة حُمى الشيطان؟

إنه هادئ البال، أم يجب القول مستهتر؟ أم مستخف؟ يكاد المرء يتعب في وصفه.

– إنه شعر مفرط الجودة على أن يكون من تأليف حُمى الشيطان.

وإذ وصلنا إلى هذه الحالة فلا بديل عن القول إنهم ملائكة لا تتخفَّى!

– سأُلقي هذا الشعر في المرة القادمة.

– في وقت الإذاعة الترفيهية؟ لا تنسَ أن تلقي قصيدتي أيضًا. أتذكرها؟ تلك التي علَّمتك إياها منذ فترة، التي تقول قلب عذراء يتفتح باضطراب ... إلخ.

كما توقعت تمامًا، ولكن كان كابُّوريه هادئًا تمامًا.

– أجل. لقد وضعتها معهم بالفعل.

– حقًّا؟ ألقيها إذن بمهارة وإحكام.

ابتسمتُ ملء فمي.

كان ذلك هو بالفعل «ابتكارات هذه الأيام» بالنسبة لي. إن اسم المؤلف لا يعني شيئًا لهؤلاء القوم. إنهم يفخرون بتعاون وتكاتف الجميع في التأليف، وإن استطاع الجميع قضاء يوم ماتع هكذا، فهذا يكفي. ألم تكن هذه هي علاقة الجمهور بالفن في الأصل؟ فأثناء جدال المتخصِّصين والرذاذ يتطاير من أفواههم هل «فرانز ليست» يعد فنانًا من الدرجة الثانية مقارنةً مع بيتهوفن؟ كان الشعب قد هجر الجدال سريعًا ليستمتع بالاستماع إلى ألحان كل منهما المحببة إليه. إن هؤلاء القوم لا يشعرون بالشكر مطلقًا للمؤلف. إن لم يكن الشعر ممتعًا فلا يبالون به سواء أَلَّفه إيسَّا أو أَلَّفه كابُّوريه أو أَلَّفته مابو. ولا يتدارسون الأدب والفن من أجل رفع مستوى أذواقهم أو حتى كمجرد إتيكيت اجتماعي. يحفظون الأعمال التي لامست قلوبهم فقط بطريقتهم الخاصة. هذا فقط هو كل ما هنالك. ولقد شعرتُ أنني تعلمتُ الآن شيئًا جديدًا بخصوص علاقة الشعب بالفن.

رسالة اليوم جدالية نوعًا ما، ولكنني في النهاية آثرت ألَّا أمزِّقها وأن أُرسلها إليك لأنني فكرتُ أن هذه الحكاية الخاصة بكابُّوريه ربما تكون مفيدةً لك في اكتشاف شيء جديد أثناء تعلُّمك فن الشعر.

إنني ماء يسيل،
منسابًا ليُطبطب على كل الضفاف.
إنني أحب الجميع.
هل هذا غرور؟

٢٦ سبتمبر

الأخت الصغرى

١

أحيانًا يجتاحني فجأةً شعور بعدم الراحة بسبب كتابتي مثل هذه الرسائل الرديئة المملة إليك، وسبق أن قرَّرت مرات عديدةً ألَّا أكتب مثل هذه الرسائل الحمقاء، ولكنني اليوم تعرفتُ على خطاب عظيم في الواقع لأحد الأشخاص، فشعرتُ بالتأثر والانبهار أن فوق كل ذي علم عليمًا، وأن في هذا العالم من يكتب مثل تلك الرسائل الحمقاء، فشعرت بصغر ذنبي في إرسالي لك هذه الرسائل، وعندها شعرتُ بالطمأنينة. يحتوي هذا العالم على الكثير والكثير من عجائب الأمور. كتابة ذلك الشخص لتلك الرسالة المرعبة جعلتني أشك أهو إله أم شيطان. على كل الأحوال إنه شخص مُريع!

حسنًا، دعني أكتب لك اليوم عن هذه الرسالة العظيمة!

صباح اليوم كان موعد التنظيف الكبير في فصل الخريف في الصالة. وانتهت أغلب أعمال التنظيف في فترة الصباح ولكن أُلغي الجدول باقي اليوم أيضًا، واستُدعي حلَّاقان من المدينة وخُصص اليوم لحلاقة شعر الطلاب. وفي الساعة الخامسة انتهيتُ من حلاقة رأسي، وبينما كنتُ أغسل رأسي الحليق في دورة المياه اقترب شخص ما خلسةً مني وقال: هل تفعلها يا هيباري؟

إنها مابو.

– أفعلها، أفعلها.

أجبتُ إجابةً في منتهى الإهمال وأنا أدهن رأسي بالصابون؛ فأنا مؤخرًا لا أتحمَّل تبادل هذه التحية وأشعر بالانزعاج والضجر منها.

– اجتهد أكثر!

– مهلا، ألَا ترين منشفتي بالقرب منك؟

لم أُجب على تحية اجتهد أكثر، ومددتُ كلتا يديَّ إلى مابو وأنا مغمض العينين.

فوضعتْ ورقةً في يدي اليمنى. فتحتُ عينًا واحدة فرأيت رسالة، فسألتها وأنا عابس الوجه: ما هذا؟

ضحكت مابو وهي تنظر لي شزرًا وقالت: أنت مشاكس يا هيباري! لمَ لا تقول لقد جاءت؟! ألَا تعرف أن عدم الرد على تحية «اجتهد أكثر» بقول «لقد جاءت» دليل على سوء الحالة الصحية؟

تعكَّر مزاجي، وأخيرًا قلتُ بغضب: لستُ في حالة تسمح بذلك. ألَا ترين أنني أغسل رأسي؟ ما هذه الرسالة؟

– لقد جاءت من ذيل الحصان. ثمة بيت شعر في النهاية، أليس كذلك؟ اشرح لي معناه.

فتحتُ عينَي عابسًا وأنا أحترس لكيلًا يدخل الصابون فيهما، وقرأت الشعر الذي في نهاية الرسالة.

مرَّت أيام طوال
بدون أن أراكِ،
وأنا أتساءل
كيف حالك الآن؟

قلتُ لنفسي إن ذيل الحصان كذلك رجل حسن الذوق.

– لا أدري معناه. لا شك أنه شِعر أُخذ من ديوان مانيوشو، ولم يؤلِّفه ذيل الحصان بنفسه.

لم أشعر بالغيرة، ولكنني مع ذلك بخلت به عليه.

التصقت بي بصورة مقيتة وقالت هامِسة: ماذا يعني؟

– أنتِ مزعجة حقًّا! إنني أغسل شعري. سأُعلمك المعنيَّ فيما بعد؛ لذا دعي الرسالة في أي مكان واذهبي لإحضار منشفتي، يبدو أنني نسيتها في الغرفة. إن لم تكن فوق السرير فستجدينها داخل الدرج المجاور للوسادة.

– أنت مشاكس.

خطفت مابو الرسالة من يدي وذهبت تجري إلى الغرفة بخطوات سريعة.

٢

الكلمة المعتادة دائمًا على لسان تاكي سان هي «مقزز»، والكلمة المعتادة على لسان مابو هي «مشاكس». عندما كانت تقولها فيما مضى كنتُ أشعر بالفزع، ولكن حاليًّا يبدو أنني تعوَّدت عليها فلم تعد تزعجني. حسنًا، يجب عليَّ أثناء غياب مابو أن أفكِّر كيف أفسِّر كلمة «أتساءل» تلك في الشعر السالف الذكر. إن تلك العبارة صعبة قليلًا؛ ولذا تحجَّجتُ بالمنشفة لكي أتفادى الإجابة اللحظية عليها. فكَّرت كثيرًا في طرق تفسير أتساءل كيف حالك الآن؟ وعندما غسلت رأسي من الصابون، عادت مابو حاملةً المنشفة، ثم أعطتها لي بوجه صارم دون أن تلفظ بحرف وأسرعت بالرحيل بعيدًا عني.

تفاجأتُ ثم عرفت أنني أخطأت. يبدو أنني في الأوان الأخيرة اعتدتُ في غفلة من الزمن على حياة الصالة فانحرفت مشاعري أو ربما شُلَّت، لقد زال التوتر الذي كنتُ عليه في بداية وجودي هنا، وعندما تُحادثني مابو أو غيرها من البنات لا أُحس بالإثارة كما كنتُ أُحس من قبلُ وكأنني بتُّ متبلِّد الشعور؛ فلها حق مابو أن تغضب من قولي لها بلا وعي أحضري لي المنشفة بملامح عابسة! ويبدو أن سبب ذلك اعتقادي أن رعاية المساعِدات للطلاب هو الوضع الطبيعي فلا أهمية للتعامل الودود. ومنذ فترة قالت لي تاكي سان: «سلوكك سيئ مؤخرًا يا هيباري.» ربما ساء سلوكي مؤخرًا حقًّا. في التنظيف الكبير صباح اليوم ترك جميع الطلاب غرفهم لتفادي التراب وخرجنا إلى الحديقة الأمامية للعنبر الجديد، وبفضل ذلك استطعت المشي فوق الأرض بعد غياب طويل؛ فمع ذهابي خلسةً إلى ملعب التنس خلف العنبر من حين لآخر، إلا أن هذه هي المرة الأولى التي يُسمح لي فيها بالخروج من العنبر علانيةً منذ مجيئي إلى هنا. ربت على جذع الصنوبر. كان جذع الصنوبر دافئًا وكأنه كائن حي تنبض فيه الدماء. انحنيتُ فاندهشت من قوة عبير الأعشاب تحت أقدامي، ثم غرفت التربة بكلتا يدي، وتأثَّرت مشاعري من ثقل تلك التربة الرطبة. أحسستُ بقوة بالحقيقة العادية التي تقول إن الطبيعة حية لدرجة تفوح منها رائحة الحياة، ولكن حتى تلك الدهشة اختفت بعد مرور عشر دقائق تقريبًا. لم أعد أشعر بشيء. لم يعد شلل المشاعر يسبِّب لي مشكلة. انتبهت إلى ذلك، فذُهلت من ضعف شخصيتي أو ما يمكن وصفه بطبيعة البشر التي تتعوَّد أن تتكيَّف مع الأمور. لقد شعرت في تلك اللحظة بالرغبة في الاحتفاظ بتلك الرجفة الأولى لكل انبهار، ولكنني أدركتُ بعد أن غضبت مني مابو أنني مَلِلت أخيرًا من المعيشة في هذه الصالة. حتى مابو لديها كبرياؤها، ربما كان كبرياءَ صغيرًا مثل زهرة البنفسج، ولكن هذا الكبرياء البائس هو الذي يجب مراعاته مراعاةً كبيرة. لقد تجاهلت

لتوي صداقتي مع مابو. إن إطلاع مابو لي على رسالة ذيل الحصان السرية ربما يدل على أن مابو تبوح لي بما في أعماق صدرها المُحرَّم على غيرها، بما يعني أنها حاليًّا تُكِن لي مشاعر طيبة أكثر ممَّا تُكنه لذيل الحصان ذاته. كلا حتى لو لم أفكِّر بهذا القدر من الغرور، ففي كل الأحوال، من المؤكد أنني خنت ثقتها؛ فحتى لو لم أعد أُحب مابو بنفس القدر السابق؛ فهذا أمر يخصني أنا فقط. لقد تعوَّدتُ حتى على ود الآخرين، بل إنني نسيت أمر إهدائها لي صندوق حفظ السجائر. أمر غير جيد، بل هو في الواقع أمر سيئ.

عندما تحييني في المرة القادمة قائلة «اجتهد أكثر» يجب عليَّ أن أتحمَّس تجاه هذا الود وأُجيب بصوت عالٍ: «لقد جاءت.»

٣

لا تردُّد في إصلاح الخطأ. الرجل الجديد سريع في تعديل نفسه. خرجت من دورة المياه، وفي منتصف الطريق لغرفتي كان حظي جيدًا ووجدتُ مابو أمام غرفة الفحم، فسألتها على الفور: أين تلك الرسالة؟

فهزَّت رأسها فقط في صمت بعيون شاردة كأنها تنظر إلى مكان بعيد.

– في درج السرير؟

سألتها هذا السؤال وأنا أفكِّر أنها ربما وضعت الرسالة في درج السرير عندما كانت تُحضر لي المنشفة، ولكنها هزَّت رأسها فقط دون أن تجيب. هذا هو سبب كرهي للمرأة؛ تشبه الهرة التي تستعيرها من الغرباء. قلتُ لنفسي أنتِ حرة، ولكن يجب عليَّ أن أراعي كبرياء مابو البائسة، وهكذا قلت لها بنبرة صوت كأنني فعلًا أطبطب على هرة: أعتذر لك على ما فعلتُه منذ قليل. معنى هذا الشعر هو …

– لا حاجة لي به.

قالت ذلك وكأنها تلقي به في القمامة ثم أسرعت بالرحيل. كانت حقًّا نبرةً حادة حِدة مريبة جدًّا، وشعرتُ أنني طُعنتُ في قلبي بسكين. أمر مهول! عدتُ إلى غرفتي ورميت نفسي على سريري وصرختُ داخلي في صمت: «ليهدأ كل شيء!»

ولكن، في الليل، كانت مابو هي التي أحضرت لي وقت وجبة العشاء. وضعت آنية الطعام ببرود على المكتب الصغير المجاور لوسادتي وأثناء العودة عرجت على الخبز الجاف وتبادلت معه المزاح وكأنها إنسان آخر، وبدأت تضحك بصوت عالٍ مسببةً ضوضاء وهي تضرب على ظهر الخبز الجاف، فيزعق الخبز الجاف فيها، توقَّفي! وهو يُحاول الإمساك

بيدها فتصرخ هي «كلا» ثم هربت منه لتأتي ناحيتي وتهمس بالقرب من أذني: سأجعلك ترى هذا. أرجو أن تفسِّر لي معناه فيما بعد.

قالت ذلك بسرعة رهيبة ثم أعطتني أوراقًا مطبقة، وفي نفس اللحظة التفتت فيها مرةً أخرى إلى الخبز الجاف وقالت بصوت عالٍ: اعترف أيها الخبز الجاف! من الذي كان يغنِّي أغنية أويدو نيهون باشي في ملعب التنس؟

– لا أدري، لا أدري!

احمر وجه الخبز الجاف احمرارًا شديدًا واجتهد في الإنكار.

قال كابُّوريه متذمرًا بصوت خافت: إن كان الأمر على أغنية أويدو نيهون باشي فحتى أنا أعرفها.

ثم بدأ في تناول الطعام.

– تمتعوا جميعًا بالطعام!

قالت مابو ذلك ثم انحنت للجميع وهي مبتسمة وغادرت الغرفة، ولم أدرِ ماذا حدث وكيف حدث. وشعرت أن مابو تعبث بي غير عابئة بمشاعري، فلم أشعر بالراحة. وهكذا بقيت رسالة في يدي، مع أنني ليست لديَّ رغبة في رؤية رسائل الآخرين، ولكن من أجل رعاية كبرياء مابو الصغيرة يجب عليَّ إلقاء نظرة عليها. قرأت الرسالة بعد انتهاء العشاء وأنا أقول لنفسي لقد بات الأمر مزعجًا، ولكنها في الواقع كانت رسالةً عظيمة! ولا أدري على وجه الدقة أهذه رسالة غرام أم ماذا؟ إنه أمر لا يمكن توقُّعه مطلقًا أن يكتب السيد نيشيواكي ذيل الحصان الذي يبدو في مظهره الخارجي هادئًا رزينًا ذا سلوك سليم وفطري مثل هذه الرسالة الحمقاء. تُرى هل يملك كل الكبار ذلك الوجه المُدَلل الأحمق خفية؟ في كل الأحوال دعني أنقُل لك محتوى تلك الرسالة لكي تطَّلع عليها. لقد أطلعَتني مابو في دورة المياه على آخر سطر من الصفحة الأولى فقط، ولكن هذه المرة أعطتني من البداية الرسالة كلها ذات الثلاث صفحات، وفيما يلي تلك الرسالة العظيمة!

٤

تبدأ الرسالة هكذا:

«أرض الذكريات التي مرَّت، غابات صالة الألعاب، أستندُ على النافذة، أتأمَّل أمواج البحر التي تقترب ثم تعود راجعةً من حيث أتت وأنا أرسم في رأسي بهدوء الأمور التي يجب وصفها بصفحة جديدة من حياتي. تقترب الأمواج

في هدوء ... ولكن في عرض البحر تزأر الأمواج البيضاء؛ لأن رياح البحر تهب غاضبةً إلى تلك الدرجة.»

ألَا ترى أن هذه الكلمات ليس لها أي معنًى؟ لذا لها حق مابو أن تصاب بالحيرة. جُمَل أصعب بكثير في فهمها من شعر مانيوشو. لقد ترك ذيل الحصان هذه الصالة وذهب إلى مستشفى في هوكايدو مسقط رأسه، وعلى ما يبدو أن تلك المستشفى تقع على ساحل البحر. هذا فقط ما يمكن فهمه، ولكن لا يمكن بتاتًا فهم ماذا يعني الباقي. جُمَل شديدة الغرابة. لأنقل لك جزءًا آخر. يترنَّح أسلوب الكتابة يمينًا وشِمالًا حتى النهاية في غرابة وإبهام.

«عندما يغرق قمر الليل في الأمواج، عندما يجتاح الظلام الأسود هذا العالم، تُمسين أنتِ السماء، تباتين الأشعة التي ترشد روحي، ينتقل العالم ويتعثَّر، لنبذل جهدنا كي نعيش حياتنا باستقامة! رجل! رجل! رجل! لنواصل الاجتهاد. الآن أريد منك أن تسمحي لي أن أدعوك بالأخت الصغرى. تُرى هل أنال الآن نصيبي من أقدار السماء؟ ماذا يمكنني أن أقول؟ آه! كلا من الأفضل أن أقول حبيبتي وأهيم في حبك المشتعل!»

لا أفهم مطلقًا ماذا يريد أن يقول! ثم بعد هذا الجزء يُجن أسلوب الكتابة ويرتبك ليغدو أكثر ريبةً وغموضًا. في الواقع يصبح شبيهًا بالأمواج العاتية.

«ليس إنسانًا وليس جمادًا، إنه العِلم وجذور العمل. إن الشخص الذي يجب أن يُحَب كل يوم صباحَ مساءَ هو عِلْم وجمال الطبيعة. يتوحَّد الاثنان معًا ويحباننني حبًّا مشتعلًا، وأنا أيضًا أحبهما حبًّا مشتعلًا. يا لها من سعادة أن أنال أختًا صغرى وأن أنال حبيبة. أختي الصغرى! أعتقد أنك تفهمين من قلبك مشاعري تلك، مشاعر أخيك الأكبر وآماله. سأظل أرسل إليكِ رسائلي مستقبلًا وأنا أعتبرك أختي الصغرى. ومن المؤكد أنك تفهمين يا أختي الصغرى!

أعتذر عن أن كلماتي باتت في منتهى الجمود. وأعتذر كذلك عن وصف المرأة التي قامت برعايتي بكلمة أخت صغرى، وأعتقد أنك ستفهمين ما أقول. عندما يصبح المرء في مثل عمرك يبدأ التفكير في أمور عديدة سواء كان رجلًا أم امرأة، ولكن أرجو منك ألَّا تفكري في الأمور ذلك التفكير العميق جدًّا. أنا كذلك سأغادر هذا العالم الدنيوي. إن الشمس ساطعة اليوم ولكن الرياح قوية. الطبيعة العظيمة! لقد بكيتُ حتى تبلَّل وجهي ولا أشعر بالراحة! وأعتقد أنك

تفهمين. أرجو أن تتذوَّقي جيدًا رسالتي اليوم وتُكرِّري قراءتها بشغف مرات ومرات. شكرا يا ماساكو! اجتهدي! يا أختي الصغرى! وفي النهاية كلمة أخيرة مني بصفتي أخيك الأكبر.

مرَّت أيام طوال
بدون أن أراكِ،
وأنا أتساءل
كيف حالكِ الآن؟

من أخيك الأكبر كازو!
إلى المبجلة ماساكو!

تقريبًا هذا محتوى الرسالة بأكملها.

من أخيك الأكبر كازو؟

يا له من ذوق، أن يضع قبل اسمه لقب أخيك الأكبر!

على كل حال باستثناء شعر ديوان مانيوشو لم أفهم شيئًا من باقي الرسالة. أعتقد أنها مريعة. حتى لو حاولت تقليدها فلن أستطيع كتابة رسالة مثلها، وفي الواقع هذا ما يجب أن يوصف بأنه خارق للعادة! ولكن الرجل المسمى كازو نيشيواكي ليس مجنونًا بأي حال. إنه إنسان خجول وطيب القلب، لأن يكتب مثل هذا الرجل رسالةً بشعة مثل هذه فهذا يعني في الواقع أن هذا العالم يمتلئ بالغرائب والأعاجيب. ولا دهشة من أن تقول مابو لي «قل لي ما معناها؟» إن من يستلم رسالةً كهذه يقع في مأزق رهيب. من المؤكد أن يعاني معاناةً شديدة. هل يجب وصفها بالرسالة الخالدة، أم بالرسالة الشريرة؟ على كل حال لقد أرهق نقل هذه الرسالة العظيمة رسغي بشكل عجيب ولا أستطيع كتابة الحروف بشكل جيد؛ لذا أرجو المعذرة. سأعاود الكتابة فيما بعد.

٥ أكتوبر

اختبار

١

يبدو أن رسالة ذيل الحصان أول أمس سحقتني وجعلت القلم يرتعش في يدي فلم أستطع الكتابة، فجاءت رسالتي إليك مبتورة الذيل مثل اليعسوب الجريح. أعتذر لك عن ذلك. يومها جلست مذهولًا بعد قراءتي للرسالة في أعقاب وجبة العشاء، فإذا بوجه مابو يختلس النظر من نافذة الردهة، وعلى ملامحه نظرة عين كأنها تسأل سؤالًا صامتًا: «هل قرأتها؟» فأومأتُ لها إيماءةً سريعة، وعندها أومأتْ مابو إيماءةً كبيرة في جدية. يبدو أنها مهتمة بتلك الرسالة اهتمامًا شديدًا، وشعرت وقتها بسخط عارم وغريب، وقلت لنفسي إن نيشيواكي مذنب، ثم شعرت أن مابو جذابة جاذبيةً لا تُحتمل، ويجب أن أعترف أنني شعرت بعدها أن مابو تزيَّنت بجاذبية جديدة زاهية؛ أي إنني لم أعد ذلك الرجل البليد المشاعر. في غفلة من الزمن بتُّ هكذا. يبدو أن العيب على الخريف. مفهوم أن الخريف فصل الحزن. عزيزي لا يجب أن تضحك؛ فأنا جاد.

لأخبرك بكل شيء. في اليوم التالي ليوم التنظيف الكبير، ظهرت مابو فجأةً أمام باب الغرفة حاملةً الطست المعدني في وقت التدليك الساعة الثامنة صباحًا، ثم أتت مباشرةً إلى سريري بملامح وجه تحاول كتم الابتسامة، ولأنني لم أكن أتوقَّع أن يأتي دورها في تدليكي بهذه السرعة بلا وعي تقريبا قلت لها بصوت خافت: جيد جدًّا.

لقد كنتُ سعيدًا.

ولكن أجابت مابو منزعجة: تقول ذلك بلا تفكير.

ثم بدأت حك جلدي بسرعة وأكملت: اليوم دور تاكي سان، ولكن ظهر عمل عاجل يجب أن تقوم به، فجئتُ أنا بديلةً عنها. هل أزعجك ذلك؟

نبرة صوتها حيادية تمامًا. لم يُعجبني ما قالت فالتزمتُ الصمت ولم أُجب، وكذلك صمتت هي، وتدريجيًّا بدأتُ أختنق وأتألَّم. في بداية مجيئي لهذه الصالة سبق لي خوض معاناة بسبب التوتر الغريب الذي كان يُصيبني عندما كانت مابو تدلِّكني، عادت للحياة مجدَّدًا حالة التوتر تلك ولم أقدر على تحمُّل المعاناة. ثم انتهى التدليك، فقلتُ بصوت ناعس: أشكرك.

فهمست مابو بصوت خافت ولكنه حاد: أعد لي الرسالة.

فقلت لها بوجه عابس وأنا نائم على ظهري: في درج السرير.

من الواضح أنني سيئ المزاج.

– لا داعي. بعد انتهاء وجبة الغداء، تعالَ إلى دورة المياه، وأعِدها لي وقتها.

ألقت بذلك القول دون انتظار الرد وغادرت سريعًا.

كانت غير ودية لدرجة عجيبة. بمجرد أن أُعاملها بلطف بسيط، تتحوَّل هكذا على الفور إلى عقرباء تبث السموم. لا بأس، إن كان الأمر كذلك فلديَّ خطتي. لسوف أرد لها الصاع صاعين بلا رحمة ولا شفقة. حسمت أمري وانتظرت مجيء راحة الغداء.

أحضرت تاكي سان وجبة الغداء. وفي ركن الآنية وُضعت دمية صغيرة مصنوعة يدويًّا من الخيزران. رفعت وجهي وسألت تاكي سان عبر نظراتي «ما هذا؟» قضَّبت تاكي سان وجهها وأشارت لي بانزعاج ألَّا أخبر أحدًا. أومأتُ لها بوجه كئيب، ولم أفهم شيئًا.

٢

قالت تاكي سان بصوت طبيعي: لقد ذهبت اليوم إلى المدينة في أمر يخص العمل.

– هدية؟

لسبب مجهول كانت طريقة سؤالي تبدو بمشاعر فاقدة الأمل وبلا حيوية.

– أليست جميلة؟ دمية ابنة فوجي. خبِّئها بسرعة.

قالت ذلك بنبرة أخت كبرى توجِّه أخيها الأصغر ثم رحلت.

وبقيتُ خاوي المشاعر. لم أشعر بأي قدر من السرور. كان ذلك من بعد أن جددتُ مشاعري ليلة أمس، وأنني يجب أن أتأثر ببراءة للمشاعر الطيبة التي يُبديها الآخرون لي، ولكنني لسبب مجهول، لم أشعر بالشكر لمشاعر تاكي سان الطيبة تجاهي، وهي المشاعر

التي ظَلِلت أحملها منذ الوقت الذي جئتُ فيه إلى هذه الصالة، والتي من الصعب تحريكها الآن بعد كل هذا الوقت. تاكي سان رئيسة المساعِدات، وهي امرأة عظيمة موضع ثقة الجميع في الصالة؛ ولذا يجب أن تكون أكثر حصافة. إنها تختلف عن فتاة مثل مابو؛ فلا يجب أن تشتري مثل هذه الدمية السخيفة وتقول لي ابنة فوجي أليست جميلة؟

وأنا أتناول الطعام، داومت النظر بتمعُّن إلى تلك الدمية المدعوة ابنة فوجي المصنوعة من الخيزران والتي يبلغ طولها بوصتين فقط في ركن آنية الطعام، ولكن كلما نظرت أكثر تأكَّدتُ أنها دمية رديئة، سيئة الذوق نوعًا ما. لا شك أنها كانت بضاعةً متروكة فوق رف محل محطة القطار حتى علتها الأتربة. يكون الشخص اللبق غير ماهر بالضرورة في الشراء، ويبدو أن تاكي سان ليست استثناءً من هذه القاعدة. إن مابو التي بها خصلات فتاة منحرفة قليلًا تشتري بضائع أكثر ألمعية. أمر لا حيلة في اليد منه. احترتُ في التعامل مع دمية الخيزران، لدرجة أنني فكَّرت في إتلافها ورميها، ولكنني كنت قد قرَّرت في اليوم السابق مباشرةً ذلك القرار الذي يستحق الثناء أنه يجب عليَّ مراعاة الكبرياء الصغيرة التي في حجم زهرة بنفسج؛ ولذا قرَّرت بمشاعر مكتئبة أن أضع تلك الهدية في درج سريري موقتًا. ولكن يجب أن أتوقف عن الكتابة أكثر من ذلك بخصوص تاكي سان حتى لا أزيدك اشتعالًا. حسنًا بعد وجبة الغداء في ذلك اليوم، ذهبت إلى دورة المياه حسب توجيه مابو. كانت تستند بظهرها تمامًا على أعمق جدار في دورة المياه وتقف متجهةً ناحيتي تضحك ضحكات مكتومة، فشعرتُ بتعكر مزاجي.

– أنت تفعلين ذلك من وقت لآخر أليس كذلك؟

خرجت تلك الكلمة غير المتوقعة من فمي.

– إيه؟ لماذا؟

نظرتْ إلى وجهي عاليًا بعينين واسعتين وهي تبتسم ابتسامةً خافتة، فشعرتُ بأشعة ساطعة.

– تستدعين الطلاب إلى هنا …

جذبتُ تلك الكلمة عنوةً ولكنني فكَّرت أنها في منتهى البذاءة فغمغمت آخرها.

– حقًّا؟! إن كان الأمر كذلك فلنتوقف.

قالت ذلك ببساطة، ثم لوت جسمها للأمام وكأنها انحناءة وبدأت في السير.

– لقد أحضرتُ الرسالة.

مددتُ لها الرسالة.

– شكرًا.

أخذتها بدون أي أثر للابتسام على وجهها وأكملتْ: أنت يا هيباري لا نفع منك.

– لا نفع مني؟ لِم؟

بتُّ أنا المتلقي.

– تظن أنني بهذه الشكل.

ثم نظرت مباشرةً إلى وجهي بوجه أزرق شاحب وأضافت: ألَا تشعر بالخجل؟

– بلى، أشعر بالخجل.

خلعتُ خوذة قتالي ببساطة وقلت: إنها الغيرة.

ضحكتْ مابو فلمعت سنتها الذهبية.

٣

– لقد قرأتُ تلك الرسالة.

كنتُ أنوي أن أنتقدها بشدة، ولكن إعطاء تاكي سان تلك الهدية السخيفة المسماة ابنة فوجي، بات عقبة، بل لقد شعرت بالخجل تجاه مابو، فلم يرتفع حماسي، وجئت إلى دورة المياه بمشاعر تقترب من الاكتئاب، فكانت مابو في منتهى السحر والجاذبية، فأشعلت مشاعر الغيرة التي يجب أن يخجل منها الرجل، فبلا وعي تلفَّظتُ بما لا يجب أن أقوله بتاتًا، وعلى الفور اكتشفت مابو مشاعري وغدوتُ الآن تقريبًا بلا نفع.

– لقد قرأتها بأكملها. كانت ممتعة. إن ذيل الحصان إنسان طيب القلب حقًّا. لقد أحببته.

كان كلامي هذا تقليديًّا ضحلًا بلا مشاعر حقيقية.

– ولكنني لم أتوقع مثل تلك الرسالة.

بسطت مابو الأوراق وعوجت رقبتها وكأنها تفحصها.

– أجل. أنا كذلك وجدتها غير متوقعة قليلًا.

في حالتي أنا كانت غير متوقعة في درجة الرداءة الشديدة تلك.

– لم تكن متوقعةً مطلقًا.

يبدو أنها شيء هام جدًّا بالنسبة لها.

– ولكنك أنت أيضًا أرسلت له رسالة، أليس كذلك؟

مرةً أخرى قلت ما لا داعي لقوله وشعرت بقشعريرة.

ولكنها اعترفت ببساطة: بلى، أرسلت له.

شعرت فجأةً بالاستياء من هذا الموضوع.

– أي إنكِ من أغوته. يبدو أنك فتاة منحرفة. إن هذا ما يُطلق عليه غباء. ما يوصف بالضحالة، وهو يُسمى أيضًا التفاهة، ويدعى كذلك الحماقة. أليس هذا الذي فعلتِه مريعًا؟

هكذا هجوتها بكل طاقتي، ولكن مابو هذه المرة ضحكت ضحكًا صاخبًا ناهيك عن أن تغضب.

اسمعيني بجدية. خاصةً أن ذيل الحصان له زوجة، الأمر ليس مضحكًا.

– ولهذا أرسلت إلى زوجته رسالة شكر. عندما غادر ذيل الحصان الصالة، ذهبتُ أنا في وداعه حتى محطة القطار، ووقتها أهدتني زوجته زوجًا من جورب التابي الأبيض، فأرسلتُ لزوجته رسالة شكر.

– هذا فقط؟

– بالطبع هذا فقط.

– ما هذا؟

اعتدل مزاجي الذي كان سيئًا وقلت: هل كان الأمر هذا فقط؟

– أجل. ومع ذلك أرسل لي تلك الرسالة، فشعرتُ باستياء شديد وعذاب النفس.

– لا داعي من عذاب النفس؛ فأنتِ تحبين ذيل الحصان حقًّا، أليس كذلك؟

– بلى، أحبه.

– ما هذا؟

مرةً أخرى شعرت بالاستياء وقلت: أنتِ تعاملينني على أنني غبي. الأمر ممل. أليس حب رجل متزوج، حبًّا بلا طائل؟ فلقد بدا أنهما زوجان متحابان.

– أجل، ولكن أليس إذا أحببتك يا هيباري فالأمر كذلك بلا طائل؟

– ماذا تقولين؟ أنت تغيِّرين مجرى الحديث.

أخيرا تعكَّر مزاجي فأضفت: أنتِ غير جادة، وأنا لا أطلب منك أن تحبيني.

– غبي! غبي! أنت لا تعرف شيئًا يا هيباري. هيباري لا يعرف شيئًا ومع ذلك ...

توقَّفت في منتصف حديثها والتفتت للخلف وبدأت تبكي بعنف، ثم وقد تلوَّى جسدها هذه المرة فعلًا وقالت بقوة وحسم: اغرب عن وجهي الآن!

٤

احترتُ في كيفية التصرُّف هل أرحل أم أبقى، وأثناء سيري داخل دورة المياه وأنا أزم فمي للأمام، شعرتُ فجأةً بالرغبة في البكاء معها.

– يا مابو.

كان صوتي هذا الذي يناديها مرتعشًا.

هل حقًّا تحبين ذيل الحصان؟ حتى أنا، أحبه؛ فهو رجل رحيم وطيب القلب، وأرى أنه لا استحالة في أن تحبيه. ابكي، ابكي، ابكي حتى تكتفين من البكاء، وأنا أيضًا سأبكي معك.

تُرى لِم قلتُ مثل هذا القول المغرور؟ عندما أفكِّر في ذلك الآن أشعر وكأنه حلم. لقد رغبتُ في البكاء، ولكن سخنتْ أطراف عينَي فقط ولم تذرف دمعة واحدة، ثم نظرتُ بعينَي الواسعتين من النافذة صامتًا إلى شجرة الجنكو في ملعب التنس التي بدأت أوراقها تتلون باللون الأصفر.

– أسرع.

في غفلة من الزمن كانت مابو تقف بجواري في هدوء وقالت بنبرة هادئة ومستكينة بدرجة تثير الامتعاض: ارجع إلى غرفتك. سيسوء الوضع لو رآنا أحد.

– لا مانع من أن يرانا أحد؛ فنحن لا نفعل شيئًا سيئًا.

قلتُ ذلك وأنا أشعر بقلبي يرقص بطريقة مريبة.

– أنت يا هيباري بليد المشاعر!

ثم وقفت بجواري في دورة المياه تتأمل ملعب التنس من النافذة، وقالت وكأنها تحدِّث نفسها: لقد تغيَّرت هذه الصالة منذ أن جئتَ إليها يا هيباري. أنت لا تعرف شيئًا أليس كذلك؟ لقد سمعتُ أن والدك إنسان عظيم. لقد قال مدير الصالة في أحد الأوقات إنه عالم مشهور عالميًّا.

– مشهور عالميًّا لأنه فقير.

شعرتُ بوحدة فظيعة؛ فأنا لم أقابل أبي منذ شهرين كاملَين. تُرى هل ما زال يمخط أنفه مُصدِرًا صوتًا عاليًا لدرجة اهتزاز الأبواب الورقية؟

– أنت سليل نسب عريق يا هيباري. بعد أن جئتَ تحوَّلت الصالة إلى مكان مشرق حقًّا. تغيَّرت مشاعر الجميع، وقالت تاكي سان إنها لم يسبق لها أن رأت فتًى بهذه الروعة. إن تاكي سان من النادر أن تتحدَّث عن أحد ولكنها تهيم بك يا هيباري. ليست تاكي

سان فقط، بل السمكة الذهبية وبصلة والجميع كلهن، ولكنهن يحترسن فلا يقتربن منك يا هيباري لكيلا ينتبه باقي الطلاب ويشرعون في نشر الشائعات ممَّا يتسبَّب في إزعاجك.

ابتسمتُ ابتسامةً مريرة وفكَّرت أنها مشاعر تتسم بالبخل.

– إن هذا ما يُسمى التجنب والابتعاد. هذا ليس حبًّا.

– ماذا؟ لا تقل ذلك.

ضربتني مايو على ظهري، ثم تركت يدها تلك على ظهري برفق وأضافت: ولكنني أختلف عنهن. أنا لا أُكن لك يا هيباري أي قدر من الحب؛ ولذلك لا مانع لديَّ من الحديث معك هكذا بمفردنا. أرجو ألَّا تسيء الفهم. إنني …

ابتعدتُ عن مابو بهدوء وقلتُ: أنت أقصى ما تستطيعين هو تبادل الرسائل مع ذيل الحصان. سأتحدث بصراحة، لقد ذُهلت من رداءة رسالته.

– أعرف. لقد جعلتك تقرؤها لأنها رديئة. لو كانت رسالةً جيدة، من الذي يُريها لك؟ إنني لا أعبأ مطلقًا لأمر ذيل الحصان. إنني لا أستخف به مطلقًا.

بدأت كلماتها وهيئتها تتخذ منحى البذاءة والسفور.

– إنني لم أعد أنفع. أنت لا تعرف أليس كذلك؟ لا تنتبه لأنك متبلد المشاعر. الجميع يقولون إننا على علاقة جيدة ببعضنا البعض. ماذا ستفعل؟ ألَا تمانع في أن يقال عنك ذلك؟

ثم خفضت وجهها وأبرزت كتفها اليمنى ودفعت بكتفها كتفي دفعًا شديدًا وهي تضحك بصوت عالٍ.

٥

قلتُ لها: توقفي! توقفي!

حتى في مثل هذا الوقت لا أجد كلمةً أخرى غير هذه! قلتُ لنفسي لقد بات الأمر مهولًا.

– لم تُجِب، ما رأيك؟ ستكون في مأزق؟ هل تريد أن تضعني في موقف مُخجل أكثر من ذلك؟ في الليلة الماضية القمر كان مضيئًا بشدة ولم أستطِع النوم، فخرجتُ إلى الحديقة، ثم فتحتُ الستارة التي بجوار وسادتك يا هيباري فتحةً صغيرة، واختلستُ النظر عليك. هل تعرف؟ إنك تنام وأنت تضحك ووجهك مضاء بأشعة القمر. يا له من وجه جميل! وجهك وأنت نائم. هيباري! ماذا أنت فاعل؟

– مستحيل. مبدئيًّا مستحيل. إنني في العشرين من عمري. هذا يضعني في مأزق. انتبهي ثمة شخص قادم!

سمعتُ صوت خف قادمًا في اتجاه دورة المياه.

ابتعدت مابو عني ورفعت وجهها ومشطت شعرها لأعلى بيدها، ثم ضحكت بصوت عالٍ. كان وجهها أحمر شديد الاحمرار وكأنها خرجت لتوها من الحمام.

– وقت المحاضرة، سأرحل. أكره فعل شيء مهمل مثل التأخر عن الوقت.

خرجتُ من دورة المياه جريًا، وفي نفس اللحظة قالت مابو بصوت رفيع: إياك أن تحسن علاقتك مع تاكي سان!

كان هذا الصوت هو أكثر ما تغلغل في قلبي.

من المؤكد أن العيب على فصل الخريف.

رجعت إلى غرفتي، ولم تكن المحاضرة قد بدأت، وكان كابُّوريه منقلبًا فوق سريره يغنِّي أغنية دودويتسو. كانت أغنيةً أسمعني إياها مرات عديدةً وتتكلَّم عن حشائش الطرقات التي تُبعث من جديد مع ندى الصباح مهما وطئ عليها البشر. وفي ذلك الوقت بالذات كانت غريبةً جدًّا فلم أشعر تجاهها بالانزعاج الصامت مثل كل مرة؛ لأنني سمعتها طائعًا وأنا أُصغي إليها أذني. ربما ضعفت روحي المعنوية.

أخيرًا بدأت المحاضرة وموضوعها عن تبادل العلاقات الحضارية بين الصين واليابان، وشرح لنا طبيب شاب يُسمَّى أوكاموتو شرحًا سهل الفهم مركِّزًا على تبادل العلاقات في العلوم الطبية معطيًا أدلةً واقعية واضحة ومحددة من قديم الزمان. قال إن كلًّا من الصين واليابان تقدَّمتا من خلال تعليم كلٍّ منهما للأخرى بالتبادل. وهو ما جعلني أومئ موافقًا وكان ثمة العديد من الأمور التي جعلتني أُمعِن التفكير فيها، ولكن مع ذلك كان سري اليوم يشغل تفكيري مهما فعلت، وكنت أتمنى من كل قلبي نسيان كل ما يتعلق بمابو وأعود سريعًا إلى ما كنت عليه من قبل؛ طالبًا نموذجيًّا خاليًا تمامًا من الهموم.

إن العيب كله على مابو تلك. كنتُ أظن أنها فتاة أكثر حكمةً من ذلك، ولكنها كانت فتاةً حمقاء على خلاف ما توقَّعت. لقد أظهرتْ منذ قليل العديد من الإيحاءات المرتبكة، ولكن حتى أنا أعلم أنها بلا معنى؛ فأنا لا أملك غرورًا غبيًّا بنفسي. إن مابو لا تفكِّر إلا في نفسها دائمًا؛ فالمشكلة ليست أنا ولا ذيل الحصان، ولكنها فقط سَكْرى من جمالها وتعاستها. تتظاهر بالبراءة، ولكن لسبب ما لديها اعتداد شديد بالنفس يرفض الهزيمة من الآخرين، ثم في نفس الوقت لديها طمع شنيع؛ فحتى أنا أستطيع اكتشاف خدعها.

٦

ألم تكن مابو كما هو متوقع ترغب في التفاخر عندما جعلتني مابو أقرأ رسالة ذيل الحصان تلك؟ ولكن على العكس من ذلك عندما شعرت مابو بحساسيتها أنني أرى أن تلك الرسالة غبية جدًّا، فما من شك أن نتيجة ذلك أنها غيَّرت على الفور من سلوكها فأخذت تبكي تارةً وتدفعني تارةً أخرى ويجري على لسانها ما لم تكن تفكِّر فيه؛ فليس الأمر مجرد كبرياء صغيرة في حجم زهرة بنفسج، بل إن تلك الفتاة تملك عزة نفس عاليةً وكأنها ملكة، لا يمكنني مراعاته بأي حال. لقد قالت إن الجميع يتكلَّمون ويسخرون من علاقتي الطيبة معها! يا للغباء! فحتى هذه اللحظة لم يسبق أن سخر أحد مني بسبب علاقتي مع مابو. إنها هي التي تثير ضجةً بمفردها. إن تربية مابو تربية مقزِّزة في أصلها ليس بها أي حشمة. ربما صدق قول إتشيغو إن العيب على والدتها السيئة. كلما فكَّرت بهدوء، زاد غضبي. وفكَّرت أن مابو ليس لديها مؤهِّل لتكون مساعِدةً في صالة الألعاب؛ فصالة الألعاب مكان مقدس، مكان يجتهد الجميع في التدريب صباحَ مساء، يرغبون من كل قلوبهم في التغلب على مرض السل. وإذا أظهرت مابو مثل هذا السلوك الفاضح مرةً أخرى، أنا على أهبة الاستعداد للشكوى إلى تاكي سان رئيسة المساعِدات بلا تردد، وجعلها تطرد مابو من الصالة.

وبعد أن قرَّرت هذا القرار الحاسم، أخيرا بتُّ لا أشعر بالتعلق بتلك الدرجة بشأن الكابوس الذي حدث في دورة المياه منذ قليل.

كان ذلك كابوسًا. إن الكوابيس لا علاقة لها بالحياة؛ فلو رأيت في المنام أنني لكمتُ وجهك، فلن أذهب إليك في اليوم التالي لأعتذر لك؛ فأنا لا أملك مثل هذا القلب الذي يملكه مرهفو الحس من رجال الدين أو الشعراء. الرجل الجديد يكره الأمور المعقدة كراهيةً شديدة.

لقد نويت عدم التعلُّق بالأحلام، ولكن في اليوم التالي لكابوس دورة المياه؛ أي هذا الصباح قبل الفجر رأيت حلمًا. لقد كان حلمًا جيدًا. لا أريد أن أنسى الحلم الجيد، وأريد أن أجعل بينه وبين حياتي صلةً ما، كذلك أريد أن أُطلعك عليه بأي طريقة. حلم يخص تاكي سان. إنها امرأة رائعة. هكذا كنت أفكِّر من كل قلبي. من النادر وجود مثل هذه المرأة. وفكَّرت أن لا عجب في أن تهيم حبًّا وإعجابًا بها. إن حدسك جيد بما يليق بك كشاعر، وتقييمك مرتفع. أنت رائع. إن حماسك الشديد تجاه تاكي سان جعلني أفكِّر أن سقوطك

طريحَ الفراش من الحُمى سيكون ورطة؛ لذا كنت أقلِّل من الحديث إليك بشأنها مؤخرًا، ولكن عرفت بوضوح هذا الصباح أن هذا القلق لا داعي له بتاتًا.

فتاكي سان ليس هذا الإنسان الذي يجعل من يهيم به غرامًا يسقط ويرقد طريح الفراش؛ لذا أرجو منك أن تُحب تاكي سان أكثر وأعمق. وأنا أنوي ألَّا أنهزم لك وأن أثق بها بشدة وعمق. ومقارنةً بذلك فمابو فتاة حمقاء، إنها على العكس تمامًا من تاكي سان. كما كان رأيك تمامًا إنها نموذج فاشل لمثلات السينما. بعد ذلك جاءت مابو إلى غرفة الكرز في الساعة الثامنة ليلًا موعد التدليك رغم أنه ليس دورها مطلقًا، وكأنها نسيت تمامًا ما حدث في الظهيرة، وأخذت تثير ضجةً بالضحك عاليًا مع الخبز الجاف وكابُّوريه، ووقتها كان دور تاكي سان في تدليكي، فكانت تدلِّكني كما هي عادتها بجد واجتهاد في صمت تام وبمهارة يد ناضرة، وتبتسم من حين لآخر لمزاج مابو ورفاقها السخيف، ثم جاءت مابو إلينا بلا تحفُّظ أو تردُّد وقالت بنبرة فظة مازحة: هل أُساعدك يا تاكي سان؟

ومع ذلك أومأت تاكي سان إيماءةً خفيفة وأجابت بجدية: أشكرك. أنا على وشك الانتهاء.

٧

إنني أحب تاكي سان تلك الهادئة البال التي تعمل بجد، لكن مظهرها وهي تُبدي الود بطريقة غير ماهرة قبيح لا يمكنني رؤيته. لفَّت مابو لليمين دُر وذهبت مرةً أخرى إلى الخبز الجاف وعندها قلتُ لتاكي سان بصوت خافت: يا لها من مغرورة!

فأجابت هامسةً بنبرة صوت مهيبة: إنها فتاة طيبة في أصلها.

ووقتها قلتُ لنفسي خُفية: تُرى هل فعلًا تاكي سان أعلى درجةً إنسانيًّا من مابو؟

أنهت تاكي سان التدليك سريعًا، وحملت الطست المعدني، وذهبت للمساعدة في تدليك نزلاء غرفة البجع المجاورة. وبعدها أتت مابو إلى سريري مرةً ثانية وهي تبتسم ابتسامةً صفراء وقالت لي بصوت هامس: ماذا قلتَ لتاكي سان؟ أكيد قلت لها شيئًا. أعرف ذلك جيدًا.

– قلت لها إنك فتاة مغرورة.

– مشاكس! حقًّا أنا كذلك.

لم تغضب خلاف ما توقعت، ثم قالت: اسمع، هل معك ذلك الشيء.

ثم صنعت بأصابع يديها شكلًا مربعًا.

– العلبة؟

– أجل. أين تحتفظ بها؟

– في أحد هذه الأدراج. لا مانع من إعادتها لك لو رغبتِ.

– ماذا! مستحيل. احتفظ بها مدى الحياة، مع أنها ستكون مزعجةً لك.

قالت ذلك بهدوء مريب، ثم بعد ذلك، قالت بصوت عالٍ مفاجئ: كما هو متوقع إن مكان هيباري هو أفضل مكان لرؤية القمر. تعالَ هنا يا سيد كابُّوريه! لنصطفَّ هنا ونتعبَّد إلى القمر. لننشد معًا هايكو يقول قمر مضيء ... إلخ، ما رأيك؟

يا لها من ثرثارة مزعجة!

في تلك الليلة، وبسبب ذلك، نمت بدون أي تغيرات بصفة خاصة، ولكنني استيقظتُ فجأةً قرب الشروق. كانت الغرفة مضاءةً إضاءة باهتة من خلال أشعة الضوء المتسرِّبة من مصابيح الرَّدهة. نظرت إلى الساعة التي بجوار سريري فكانت قبل الخامسة بقليل. ويبدو أن المكان في الخارج ما زال غارقًا في الظلام الحالك. هناك شخص ينظر تجاهي من النافذة. إنها مابو! على الفور لمع هذا الحدس في رأسي. وجه أبيض. من المؤكد أنها ضحكت ثم اختفت فورًا. نهضتُ وفتحت ستائر النافذة ونظرتُ ولكن لا أحد. كانت مشاعري غريبة. تُرى هل كنتُ نائمًا؟ مهما كانت مابو فتاةً مريبة من المستحيل أن تأتي في هذا الوقت. عدت إلى سريري ورقدتُ عليه بابتسامة مريرة وأنا أقول لنفسي إنني رومانسي على غير المتوقع، ولكنني بقيتُ منشغلًا بالأمر طويلًا، وبعد قليل سمعت صوت ماء خافتًا جدًّا يأتي من المغسلة لأحدهم يغسل ملابس.

فقلتُ لنفسي: إنه هذا الشخص! ولا أدري ما سبب قولي ذلك. إن هذا الشخص هو الذي ضحك لي منذ قليل ثم اختفى. من المؤكَّد أنه هناك الآن. وعندما فكَّرت في ذلك لم أستطع الصبر، فقمت من نومي بهدوء شديد وخرجت إلى الردهة بخطوات متسللة.

ينير المغسلة مصباح كهربائي أزرق عارٍ. اختلست النظر فوجدت تاكي سان ترتدي مريولًا أبيض فوق كيمونو من نوع كاسوري منحنيةً على نفسها كالكرة وتمسح أرضية المغسلة الخشبية. كانت تُشبه فتيات أوشيما وهي تربط المنشفة على رأسها. التفتت للخلف ونظرت تجاهي ومع ذلك واصلت مسح ألواح الأرضية في صمت، وبدا وجهها نحيفًا ورفيعًا بدرجة مريعة. كان جميع أفراد صالة الألعاب يغُطُّون في نوم هادئ وعميق. تُرى هل تستيقظ تاكي سان دائمًا في هذا الوقت المبكر من الصباح وتبدأ التنظيف؟ لم أستطع التحدث بمهارة فأخذتُ فقط أتأمل بصدر يخفق فرحًا، منظرها وهي تنظِّف الأرضية

وتمسحها. سأعترف! لقد عانيت في تلك اللحظة من شهوة مخيفة لأول مرة في حياتي. في ذلك الظلام الحالك الأسود قبل ذهاب الليل وشروق الشمس، ثمة هاتف غير عادي يجثم على أنفاس المكان.

٨

على ما يبدو أن المغسلة هي بوابة الشيطان بالنسبة لي.

– تاكي سان! منذ قليل ...

التصق صوتي بحنجرتي فقلت وأنا ألهث: هل خرجتِ إلى الحديقة؟

– كلا.

التفتت ونظرت إليَّ وابتسمت ابتسامةً خفيفة.

– ماذا تقول أيها الطفل المدلَّل؟ هل كنتَ تحلم؟ يا لك من مقزز! ما هذا؟! أنتَ حافي القدمين!

عندما انتبهت ونظرت وجدتني حافي القدمين حقًّا. لقد جئتُ في حالة حماس شديد ولذا نسيت أن ألبس الخف.

– أنت طفل مُتعب! امسح قدميك.

وقفت تاكي سان وغسلت الخرقة جيدًا في الحوض ثم حملت تلك الخرقة وقرُبت مني ثم انحنت ومسحت لي باطن قدمي اليمنى ثم باطن قدمي اليسرى بتدليكهما بقوة. ليس قدمي فقط، لقد شعرت أيضًا أن قلبي بات نظيفًا من أعمق أعماقه، وزالت تلك الشهوة المُريبة المخيفة. وضعتُ يدي على كتفَي تاكي سان أثناء مسحها لقدمي وقلت لها وأنا أتعمَّد تقليد لهجتها من سكان إقليم كانساي: تاكي سان! اسمحي لي أن أتدلَّل عليكِ دائمًا.

فقالت بصوت خافت وكأنها تحدِّث نفسها وبدون أن تبتسم: لا بد أنك تُحس بالوحدة. سوف أعيره لك، اذهب إلى المرحاض سريعًا، وتصبح على خير.

وخلعت الخُف الذي كانت تلبسه في قدميها ووضعته أمام قدمَي.

– شكرا لك.

تظاهرتُ بالهدوء ولبست الخُف ثم أضفت: ربما كنتُ أحلم.

فقالت بنبرة الكبار الجادة وقد أسرعت بالبدء في التنظيف من جديد: ألم تستيقظ للذهاب إلى المرحاض؟

– أجل، هذا ما حدث.

بالطبع لم أستطع أن أقول لها هذا الأمر الأحمق إنني رأيتُ وجه امرأة خارج النافذة. من المؤكد أنني رأيت ذلك المنظر الوهمي بسبب تعكُّر قلبي. منظري وأنا أقفز إلى الردهة حافي القدمين وقلبي يخفق فرحًا بأوهام خيالية مقزِّزة، جعلني أشعر بالخسة والخجل، مع أنه ثمة من يستيقظ هكذا في الظلام الحالك وينظِّف المكان في صمت بكل جد واجتهاد.

استندت إلى الجدار وظَلِلت لفترة أتأمل منظر تاكي سان وهي تعمل، فتعلَّمتُ منها جلال وهيبة الحياة، وقلتُ لنفسي إن هذا هو مظهر الإنسان السليم المعافى، وشعرت كأن جوهر البراءة الذي في أعماق صدري قد بات أكثر شفافيةً وصفاءً.

إن الإنسان الصادق جيد جدًّا، والإنسان البسيط نفيس جدًّا. لقد كنتُ إلى الآن أحتقر قليلًا قوة عزيمة تاكي سان ولكنني كنت مخطئًا. لا عجب أن لك عينين بارعتين في التقييم. إن مابو مثلًا لا يمكن لها أن توضَع في مقارنة معها بأي حال من الأحوال. حب تاكي سان لا يجعل الناس يسقطون. هذا أمر مؤكد. وأنا أيضًا أنوي أن أُصبح رجلًا ذا مشاعر حب سليمة هكذا. سوف أقفز عاليًا يومًا بعد يوم. يهب الجو حولي باردًا صافيًا تدريجيًّا.

إن الرجل يعيش حياته من أولها لآخرها على بُعد شعرة من الأزمات. إن الرجل الجديد يلهو بالصعاب وبهذا يتخطاها بخفة وسهولة ويطير عبرها قفزًا في طريقه.

بهذا التفكير بدا لي الخريف أيضًا ليس سيئًّا، يُحدث قشعريرة برد بالجلد فيجعل المشاعر ممتعة.

إن حلم مابو حلم رديء، وأريد أن أنساه سريعًا، وحلم تاكي سان، إن كان ذلك حلمًا، أتمنَّى ألَّا أصحو منه إلى الأبد.

هذا ليس إفشاءً لمشاعري العاطفية مطلقًا.

٧ أكتوبر

الخبز الجاف

١

مع التحية.

لقد كانت العاصفة مريعة. هل هذه ما يطلق عليها عواصف بداية الخريف؟ من المؤكد أن جيش الاحتلال الأمريكي اندهش بشدة. لقد جاء منهم أربعمائة أو خمسمائة جندي إلى مدينة إيـ... ولكن لم يظهر منهم أحد بعدُ في هذه الناحية ولو مرةً واحدة. لقد ألقى مدير الصالة الذي كان خائفًا خوفًا عشوائيًا محاضرةً حذَّرنا فيها من أن نغدو أضحوكة، ولكن جميع من في هذه الصالة هادئ البال نسبيًّا. السمكة الذهبية فقط هي التي كانت مكتئبةً قليلًا فسخر منها الجميع. لقد ذهبت السمكة الذهبية منذ يومين أو ثلاثة أيام وسط هطول الأمطار إلى مدينة إيـ... في مهمة عمل، وفي تلك الليلة بعد أن نام الجميع أخذت تبكي في صمت. فسألها الجميع: ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ فقصَّت قصتها وهي تبكي وتنتحب، وملخَّص قصتها كما يلي بالتقريب.

أنهت السمكة الذهبية مهمتها في المدينة وكانت تنتظر باص العودة، فجاءت سيارة نقل أمريكية فارغة وسط أمطار شديدة. يبدو أن حادثًا وقع لها، فتوقفت أمام مكان الانتظار تمامًا، ونزل منها جنديان أمريكيان شابان كأنهما طفلان، وكانت هي منهمكةً في صعود الباص، ولكن وقتها وكأنه حلم أعطى الجنديان الأمريكيان لكل منهما كمثرى واحدةً من الصرة التي كانت في أياديهما، وصلا إلى مؤخرة الباص وكلمة ثانكيو تتردَّد خلفهما، ثم انطلق الباص. ذلك فقط هو ما حدث، ولكنها عندما عادت إلى الصالة وبدأت تستعيد تدريجيًّا هدوءها، لم تتحمَّل الخوف والقلق المريع اللذين لا يمكن وصفهما، فأدَّى ذلك إلى بكائها الصامت بمفردها في الليل وقد غطَّت رأسها. وانتشر هذا النبأ سريعًا في

الصباح التالي في أرجاء صالة الألعاب جميعها، فثمة من قال إنه لا حيلة في ذلك، ومن قال إنه لا يفهم شيئًا، ولكن في كل الأحوال ضحك الجميع عليها ضحكًا هائلًا. وكانت السمكة الذهبية مهما سُخر منها لا تبتسم بل تهز عنقها وتقول إن قلبها ما زال يخفق هلعًا حتى الآن.

وأيضًا في الأوان الأخيرة كان شخص آخر بوجه مكتئب على الدوام هو الخبز الجاف زميلي في نفس الغرفة. بدا أنه يعاني ويتعذَّب من شيء ما؛ فقد كان لديه تعب من نوع غريب ونادر.

وفي الأصل يُحب الشخص الملقَّب بالخبز الجاف هذا العيش في غموض، أو ربما يستخسر نفسه، فكان لا يتبادل معنا الحديث مطلقًا، ويخنق وجوده جو المكان بشدة بتعامله معنا معاملة الغرباء، ولكن ليلة أمس الأول في مثل تلك العاصفة وبعد أن تخطَّى الوقت الساعة السابعة بقليل انقطعت الكهرباء فأُلغي التدليك الليلي، وكذلك لم تعمل مكبِّرات الصوت لانقطاع الكهرباء، فلم نسمع نشرة أنباء المساء، فتقرَّر أن ينام جميع طلاب صالة الألعاب مبكرًا، ولكن لأن هزيم الرياح كان مهولًا لم يستطع أحد النوم، فكان كابُّوريه يغنِّي بصوت خافت، وبحث أسد إتشيغو في أدراج سريره فأخرج شمعةً ثم أشعلها ووضعها على رأس سريره وجلس متربعًا على السرير وبدأ يُصلح خُفه بجد واجتهاد.

– الرياح مهولة!

جاء الخبز الجاف ناحيتنا وهو يبتسم ابتسامةً مريبة، وفي الواقع كان من النادر جدًّا أن يأتي الخبز الجاف لسرير أحد منا ويتحدَّث معه.

٢

وفكرتُ أنه مثلما تطير حشرات العثة لتتجمَّع حول نار القناديل، ربما يأتي البشر كذلك في ليلة عواصف مثل هذه منجذبين بحنين نحو شعاع الشمعة الفقير.

أنهضتُ جذعي واستقبلته قائلًا: أجل. من المؤكد أن جيش الاحتلال أيضًا قد اندهش من هذه العاصفة.

فابتسم أخيرًا ابتسامةً مريبة وقال بنبرة صوت وكأنه يمزح: كلا، ولكن الحقيقة، إن جيش الاحتلال هذا هو المشكل. على كل حال اقرأ هذا.

ثم أعطاني ورقةً عليها كتابة.

كانت الورقة مليئةً بكلمات إنجليزية.

تورَّدت خدودي وأنا أقول: إنني لا أستطيع قراءة اللغة الإنجليزية.

– بل تستطيع. إن من كان مثلك تخرَّج لتوه من المدرسة المتوسطة أكثر من يحفظ اللغة اليابانية، نحن من نسيناها بالفعل.

قال ذلك وهو يبتسم ابتسامةً صفراء، وجلس على طرف سريري ثم خفَّض من صوته لكي يجعلني أنا فقط من يستطيع سماعه وقال: في الواقع أنا من كتب هذه الورقة باللغة الإنجليزية، ولأنه من المؤكد أن ثمة أخطاءً في قواعد اللغة الإنجليزية؛ لذا أريد منك أن تُصلحها لي. إن قرأتها ستعرف ذلك ولكن الناس في هذه الصالة يظنون أنني بارع جدًّا في اللغة الإنجليزية، وإن أتى جنود أمريكان إلى هذه الصالة فربما يستدعونني لكي أقوم بالترجمة، وكلما فكَّرت في حدوث ذلك، أُصاب بقلق عظيم لا يمكنني احتماله. أرجو منك ملاحظة ذلك.

ثم ضحك بصوت عالٍ لكي يُخفي خجله.

فقلت وأنا أتأمَّل الورقة شاردًا: ولكنك بارع حقًّا في اللغة الإنجليزية، أليس كذلك؟

– لا تمزح. أنا لا أستطيع مُطلقًا أن أترجِم شيئًا. يبدو أنني تساهلت قليلًا وركبت الموجة وبالغتُ في استعراض معرفتي باللغة الإنجليزية أمام المساعِدات. وإذا دعَوني بسبب ذلك للعمل مترجمًا ثم ظهرتُ أمامهن وأنا في حالة ارتباك وحيرة، فلا أدري إلى أي مدًى سيبلغ احتقار المساعِدات لي وقتها؟ لم يسبق لي أن كنتُ بهذا الضعف من قبل، ومؤخرًا كان ذلك يُقلقني لدرجة أنني لا أستطيع النوم ليلًا، وسأترك لخيالك إدراك ذلك.

ثم ضحك بصوت عالٍ مجددًا.

قرأت اللغة الإنجليزية المكتوبة في الورقة. كانت ثمة كلمات لا أعرفها هنا وهناك، ولكن على الأغلب كان المكتوب باللغة الإنجليزية هو ما يلي: أرجوك لا تغضب. أرجو منك غفران سوء أدبي؛ فأنا رجل بائس! والسبب أنني فيما يخص اللغة الإنجليزية مثل الطفل الرضيع سواء في السماع أو التحدث أو غيرها من القدرات. مثل هذه الأفعال ترقد في مكان يبعد عن قدراتي بُعد المشرق عن المغرب. ليس هذا فقط، ولكن علاوةً على ذلك فأنا مريض بمرض رئوي؛ لذا احترس مني! آه، أنا خطر! فثمة احتمالية عظيمة جدًّا في أن أنقل لك المرض، ومع ذلك فأنا أثق بك ثقةً عمياء، وأقسم باسم الرب أنني أعترف أنك رجل نبيل جدًّا ذو سمو ورقي وأخلاق عالية، وأنا لا أشك في أنك من المؤكد ستشعر بالتعاطف مع رجل بائس. إنني أُعَد معاقًا تمامًا فيما يتعلَّق بالمحادثة باللغة الإنجليزية، ولكنني أستطيع القراءة والكتابة بصعوبة بالغة. وإن كنت تملك قلبًا طيبًا وقوة تحمُّل بما يكفي، أرجو

منك أن تكتب ما تريده منا اليوم في هذه الورقة، ولكن أرجو أن تصبر عليَّ بمقدار ساعة، وأثناء ذلك الوقت سأُغلق على نفسي في غرفتي وأدرس ما كتبتَه ثم أكتب الرد على كلامك بأقصى ما أملك من قدرات.

أصلِّي بحرارة من أجل صحتكم، وأرجو منك ألَّا تغضب مطلقًا من كلماتي هذه الفقيرة الضعيفة الشديدة السوء.

٣

مقارنةً برسالة ذيل الحصان إياها التي كانت مريبةً وغير مفهومة، فهذه الرسالة منطقية ومفهومة فهمًا جيدًا، ومع ذلك كنت أثناء القراءة غير قادر على تحمُّل كتمان الضحك؛ فقد استطعتُ من خلال هذه الجمل الإنجليزية معرفة حالة الخبز الجاف وهو يرتعد من استدعائه للقيام بدور المترجم، ومع ذلك بسبب مشاعر التباهي الطفولية إياها، وفي أسوأ الاحتمالات فهو يعاني معاناةً شديدة في المحاولة بكل وسيلة أن يتخطَّى الموقف بشكل ما دون أن يلحقه العار، ودون أن يخون ثقة وآمال المساعِدات.

فقلت له وأنا أكتم الضحكات في فمي: إن هذا يبدو أحد الخطابات الدبلوماسية العظيمة. له مهابة رائعة.

فابتسم الخبز الجاف ابتسامةً متصنَّعة وخطف مني تلك الورقة وقال: لا يجب عليك السخرية مني. ألم يكن بها أخطاء؟

– أجل. كانت جملًا سهلة الفهم جدًّا. أليس هذا ما يوصف بالكلام الرائع!

– تقصد الكلام الحائر.[١]

قال تلك المزحة المملة، ولكنه مع ذلك لم يتعكَّر مزاجه من المديح، فعادت ملامح وجهه إلى التباهي والفخر الجديرين به، وقال بنبرة صوت ودية منفِّرة: الترجمة مسئولية ثقيلة؛ ولذا فأنا أفكِّر أن أعتذر عنها وأُبدلها بتبادل الكتابة. يبدو أنني بالغت في التباهي بمعرفتي باللغة الإنجليزية؛ لذا ربما يستدعونني للترجمة، ولن أستطيع الآن الهروب أو الاختفاء وبات الوضع معقدًا.

ثم تنهَّد متعمِّدًا تنهيدةً خافتة.

[١] الكلام الرائع والكلام الحائر نفس النطق باللغة اليابانية ولكن المعنى يختلف باختلاف الكتابة. (المترجم)

وانبهرتُ أنا من اختلاف أنواع القلق التي يصاب بها البشر.

وربما بسبب العاصفة العاتية، أو ربما بسبب الإضاءة الفقيرة، تجمَّعنا نحن نزلاء الغرفة الأربعة حول ضوء شمعة أسد إتشيغو وتبادلنا الأحاديث بلا كُلفة بعد غياب طويل.

فسأل كابُّوريه بصوت خافت جدًّا لسبب مجهول: تُرى ما صفات المؤمن بمذهب الحرية؟

– في فرنسا …

يبدو أن الخبز الجاف قد تعلَّم درس اللغة الإنجليزية جيدًا، فتحوَّل الآن إلى المباهاة بمعلوماته عن فرنسا.

– في فرنسا يسمونه ليبرتان. إنه من يرغي ويزبد مُشيدًا بأفكار الحرية. ويقال إن ذلك كان في القرن السابع عشر، فهو إذن حدث قبل ثلاثمائة عام من الآن.

ثم رفع حاجبَيه متصنِّعًا الأهمية وأضاف: ويبدو أنهم أحدثوا فوضى وارتباكًا بالصراخ منادين بالحرية الدينية في الأساس.

– ما هذا؟ هل هو الفوضوي؟

قال كابُّوريه ذلك بوجه بدا عليه أنه فوجِئ بما لم يتوقَّعه.

– أجل، هو كذلك على التقريب. في الأغلب هو إنسان يعيش حياة الأوغاد. وشخص مثل سيرانو دي بيرجيراك ذي الأنف الكبير، يمكن القول إن ذلك الشخص مثلًا يُعَد أحد الليبرتان وقتها. قاوم السلطة الحاكمة في عصره، وساعد الضعفاء. وعلى الأرجح إن الشعراء الفرنسيين في ذلك الوقت كانوا على هذا المنوال، ويبدو أن ثمة تشابهًا قليلًا مع أخلاق المروءة لفرسان عصر إيدو.

ضحك كابُّوريه ضحكةً مفاجئة وقال: ماذا يعني هذا؟ هل يعني هذا أن تشوبيه بانزوين مثلًا كان ليبراليًّا؟

٤

ولكن واصل الخبز الجاف الكلام دون أن يتعظ: لا مانع من وصفه كذلك؛ ففي الأصل، ربما يختلف طراز الأحرار حاليًّا عن ذلك قليلًا، ولكن ليبرتان فرنسا في القرن السابع عشر كانوا غالبًا مثله. وربما كان أناس مثل سكيروكو هاناكاوادو ومثل جيروكيتشي نيزوميكوزو من نفس النوع.

– إممم، هل هذا حق؟

كان كابُّوريه في منتهى السعادة.

وكان أسد إتشيغو يبتسم ابتسامةً متصنعة وهو ما زال يخيط الجزء المقطوع من خفه.

ثم تكلَّم الخبز الجاف أخيرًا بجدية قائلًا: تنبع الأفكار الليبرالية في الأصل من روح التمرد والمقاومة. وربما يمكن وصفها بأنها أفكار تدميرية. إنها أفكار لا تتولد بدايةً بعد إزالة القيود، ولكنها من طبيعتها حتمية القتال أثناء ولادتها كرد فعل على القيود. والمثال الذي يُذكر كثيرًا أن الحمام دعا الرب في أحد الأيام: «إنني عندما أطير يكون الهواء عائقًا فلا أقدر على الطيران للأمام سريعًا؛ لذا أرجو منك إزالة الهواء.» فلبَّى له الرب هذا الدعاء، ولكن الحمام مهما رفرف بجناحَيه لم يستطع الطيران لأعلى. الحمام هنا هو أفكار الحرية، الحمام يستطيع الطيران عاليًا بدايةً بسبب وجود مقاومة الهواء. إن أفكار الحرية التي ليس لها هدف تقاتله، تشبه تمامًا الحمام الذي يرفرف في حيِّز مفرَّغ من الهواء، لا يستطيع الطيران.

وأوقف أسد إتشيغو يده التي تخيط الخف وقال: ألَا يوجد اسم رجل يشبه ذلك؟

حكَّ الخبز الجاف رأسه وقال: آ... لم أقل ذلك بهذا المعنى. إن هذا أحد أدلة كانط؛ فأنا لا أعرف شيئًا عن عالم السياسة في اليابان حاليًّا.

فقال أسد إتشيغو بنبرة هادئة تليق بأكبر المجتمعين سنًّا: ولكن، يجب أن تعرف ولو قليلًا؛ لأنه يبدو أن الشباب سوف يحصلون مستقبلًا على حق التصويت والترشُّح في الانتخابات. ألَا يمكننا القول إن أفكار الحرية تختلف تمامًا من عصر لآخر؟ فيمكننا القول إن كل العباقرة الذين قاتلوا من أجل طلب الحقيقة هم من أنصار الحرية، بل لدرجة أن شخصًا مثلي يرى أن المسيح هو أصل كل أفكار الحرية «انْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ.»[٢] أليس هذه أفكار الحرية الرائعة؟ أنا أعتقد أن الأفكار الغربية جميعها قاعدتها الأساسية هي الروح المسيحية، إما شرح مستفيض لها، وإما تبسيط وتلخيص، أو شك فيها. ومهما كان الناس لديهم نظريات مختلفة ففي النهاية يمكن أن نربطها بمجلد واحد هو الكتاب المقدس، حتى العلم نفسه لا يعدم علاقةً به. الذي يخلق أساسيات العلم كلها فرضيات، حتى علم الفيزياء وعلم الكيمياء، ويجب على اليابانيين قبل دراسة العلوم والفلسفة الغربية أن يدرسوا أولًا الكتاب المقدس. إنني

[٢] إنجيل متى، الإصحاح السادس، آية ٢٦. (المترجم)

لست مسيحيًّا أبدًا، ولكني أعتقد أن سبب هزيمة اليابان في الحرب هو دراستهم السطحية للحضارة الغربية فقط دون بحث ودراسة الكتاب المقدس؛ فلا يمكن فهم نصف أفكار الحرية ولا غيرها من الأفكار دون دراسة الروح المسيحية.

٥

صمت الجميع لفترة من الوقت، حتى كابُّوريه نفسه ظلَّ يهز رأسه في صمت وعلى وجهه ملامح التفكير العميق.

– ثم بعد ذلك تختلف أفكار الحرية وتتبدَّل في كل عصر وكل زمان، وكمثال على ذلك …

تحدَّث أسد إتشيغو في تلك الليلة بطلاقة لسان غير معهودة، بل لدرجة أن بدا وكأنه أحد العظماء الذين اعتزلوا الحياة العامة. وربما كان في الواقع شخصيةً عظيمة مشهورة، بل إنني فكَّرت في داخلي أنه لو كان فقط بصحة جيدة لربما استطاع الآن أن يشغل منصبًا هامًّا يخدم من خلاله الوطن.

– في الماضي البعيد كان هناك مفكِّر حر في الصين غضب من السلطة الحاكمة وقتها فاعتزل الحياة العامة واختفى في الجبال، بمعنى أنه قال ما من مصلحة لي في هذا العصر، ولكنه شخصيًّا لم ينتبه إلى أن ذلك الفعل ذاته يعني هزيمته. كان يملك سيفًا بارعًا وبتارًا، فاختفى في الجبال وهو على ثقة شديدة أنه في الوقت المناسب سوف يقضي على غريمه السياسي بضربة واحدة من سيفه البارع هذا. مرَّت عشر سنوات وتغيَّر العالم، فنزل من الجبال معتقدًا أن الوقت المناسب قد حان، فأخذ يدعو الناس إلى أفكاره الحرة فلم تكن إلا أفكارًا بالية ومبتذلة فقط، فحاول أن يتقلَّد سيفه البتار ويُظهر للعامة حماسه. يا له من بائس؛ فقد بَلِي سيفه بالفعل من الصدإ. تلك هي الحكاية؛ أي إن اعتقاد الإنسان أن الأفكار السياسية تصمد بلا تغيير لعشر سنوات وكأنها يوم واحد، مجرد أوهام حالمة. كانت أفكار الحرية في عصر ميجي في البداية التمرُّد على حكومة الساموراي، ثم شجب وإدانة الإقطاعيات، وعقب ذلك الهجوم على البيروقراطيين. وأعتقد أن كلمة كونفوشيوس التي تقول إن الحكيم يتغير جذريًّا تصف ذلك الأمر. وكلمة الحكيم في الصين تختلف عن المعنى الذي يُشار به إلى الرجل الذكي الذي لا يقرب الخمر ولا التبغ كما في اليابان، ولكن يبدو أن معناها في الصين هو الرجل العبقري الذي يمتلك ست فنون؛ أي يمكن القول إنه الرجل ذو المهارة العبقرية، ذلك الرجل يتغيَّر جذريًّا؛ أي يُظهر تغييرًا رائعًا. ولا يعني هذا

خيانةً قبيحة للأفكار. والمسيح كذلك يقول إياكم والقسَم، ويقول لا تفكِّروا في أمر الغد. أليس هو حقًّا أقدم مفكِّر حر؟ ثمة جُحر للثعلب وثمة وكر للطائر، ولكن ما من وسادة لطفل الإنسان، لا مانع من أن نقول إن ذلك هو عتاب مفكري الحرية. لا يُسمح بالعيش يومًا واحدًا في راحة. هذا التأكيد يتجدَّد يومًا بعد يوم، ويجب أن يتجدَّد يومًا بعد يوم. وفي اليابان الآن مهما هاجمت بيروقراطيي أمس العسكريين بعد فوات الأوان، فليست تلك هي أفكار الحرية، إنها أفكار الانتهازية. إن كانت أفكار حرية حقيقية، فثمة شيء آخر يجب النداء به عاليًا الآن بالذات.

فسأله كابُّوريه مذعورًا: ما ... ما هو؟ ما الذي يجب أن يُنادى به عاليًا؟

– ألَا تعرف؟

ثم اعتدل أسد إتشيغو في جلسته وقال: «عاش جلالة الإمبراطور!» إنها تلك الصيحة، كانت حتى أمس قديمة، ولكنها اليوم أفكار الحرية الأحدث على الإطلاق، بمعنى اختلاف محتوى الحرية قبل عشرة سنوات والحرية اليوم. إنها لم تعد ذلك المذهب الروحاني، بل إنها حب الإنسان الفطري. يجب على مفكري الحرية الحقيقيين اليوم الموت في سبيل ذلك النداء. لقد سمعت أن أمريكا بلد الحرية، ولا شك أن ستعترف بالضرورة بصرخة الحرية هذه في اليابان. لو لم أكن مريضًا، لرغبتُ في الوقوف الآن فوق جسر نيجوباشي أمام القصر الإمبراطوري والصراخ: «عاش جلالة الإمبراطور!»

خلع الخبز الجاف نظارته. إنه يبكي! لقد وقعتُ تمامًا في حب الخبز الجاف في ليلة العاصفة تلك. يا لروعة الرجال! المشكلة ليست مابو ولا تاكي سان على الإطلاق.

انتهى.

رسالة عنوانها إضاءة الشموع في العاصفة من صالة الألعاب الصحة. مع التحية.

١٤ أكتوبر

أحمر شفاه

١

شكرا لك على الرد. أسعدني كثيرًا إعجابك العظيم برسالتي عن «مناقشات ليلة العاصفة» منذ أيام. وطبقًا لرأيك، إن أسد إتشيغو هو السياسي الحقيقي الذي يندر وجوده في هذا العصر، وربما كان أستاذًا شهيرًا ذائعَ الصيت، ولكنني لا أرى ذلك؛ فالعصر الحالي هو ذلك العصر الذي يعبِّر فيه مثل هذا الشعب المجهول من العامة عن الآراء الصحيحة. أما القادة فمجرد أناس في ارتباك محتارين يمينًا ويسارًا، وإن استمر الحال على ما هو عليه هكذا، فمن الواضح أن العامة سيبتعدون عنهم سريعًا، ولقد سمعتُ أن الانتخابات ستُقام قريبًا، وعندما يقوم السياسيون بإلقاء خطب غريبة، ستكون النتيجة أن العامة سوف يستخِفون بالنواب ويعتبرونهم أغبياء.

وعلى ذكر الانتخابات، فلقد وقعَت اليوم في الصالة حادثة نادرة الحدوث جدًّا. بعد ظهيرة اليوم، وصلت إلينا لوحة التواصل بين الغرف من غرفة البجع المجاورة وفيها ما يلي؛ إن إعطاء المرأة حق المشاركة السياسية أمر يستدعي الاحتفال والفرح، ولكن مؤخرًا منظر مساحيق الوجه المبالغ فيها من المساعِدات باتت لا يمكن الصبر على رؤيتها، ونرى أن حق المشاركة السياسية يبكي بسبب ذلك، وطبقًا لِما نسمع من شائعات، فجيش الاحتلال الأمريكي كذلك، يحكم حكمًا خاطئًا على المرأة ذات أحمر الشفاه الفاقع بأنها عاهرة، وهي شائعة حقيقية، وهذا ليس فقط أمرًا مخزيًا للصالة وحدها، بل هو عار وخزي لجميع النساء في جميع أنحاء اليابان ... إلخ، ثم كُتبت قائمة بألقاب جميع المساعدات اللائي يشتهرن بوضع مساحيق التجميل الصارخة بلا إغفال أحد، ثم أضيف: «من بين الست أسماء السابقة فمساحيق تجميل الطاووس أكثرهن بشاعة، وكأنها تشبه الملك القرد الذي

يأكل لحم الأحصنة، ولقد حذَّرناها مرات عديدة، ولكن لا يظهر منها أي مراجعة للنفس؛ لذا يجب علينا أن نطردها من الصالة.»

تشتهر غرفة البجع المجاورة بتجمُّع المتشدِّدين في الآراء بها، والخبز الجاف الذي له شعبية طاغية بين المساعِدات لم يستطع تحمُّل وجوده هناك فسارع بالهرب منها وجاء إلى غرفة الكرز هنا. ربما ذلك بسبب وجود الرجل الفاضل أسد إتشيغو فغرفة الكرز عامةً يمكن أن نقول إن بها دفئًا ولطافة. كان كابُّوريه هو أول من أعرب عن استنكاره ممَّا في لوحة التواصل هذه المرة بقوله: أمر فظيع. ابتسم الخبز الجاف ابتسامةً مريرة مؤيدًا كابُّوريه.

طلب كابُّوريه موافقة أسد إتشيغو بقوله: أليس هذا أمرًا فظيعًا؟ إن البشر جميعًا سواسية. أنا أرى أن الطرد لا داعي له. لا يجب أن ننسى حب الإنسان الفطري مهما حدث.

أومأ أسد إتشيغو إيماءةً خفيفة وظل صامتًا، وحصل كابُّوريه بذلك على قوة دفع فقال: أليس كذلك؟ لا يجب التغاضي عن ذلك. إن الحرية لا يُفترض أن تكون بذلك البخل. ما رأي الأستاذ الشاب هناك؟ أعتقد أن رأيي صحيح.

هكذا حثَّني على موافقته في رأيه.

– ولكن من المؤكَّد أن جيراننا لا يفكِّرون في طردها فعلًا، إنهم فقط يريدون أن يوضِّحوا عزيمتهم القوية للآخرين.

لَمَّا قلت ذلك وأنا أبتسم، نفى كابُّوريه كلامي بقوة وعارضني قائلًا: كلا ليس الأمر كذلك. في الأساس أنا أرى ضرورة عدم وجود تناقض خطير بين أحمر الشفاه وحق مشاركة المرأة في السياسة. لا شك أن هؤلاء ينتهزون مثل هذه الفرصة للانتقام من المرأة لأنهم في المعتاد لا يلقَون اهتمامًا من النساء.

٢

وهكذا قال بعد ذلك الجزء الأفضل المشهور.

– في هذا العالم ثمة الشجاع الكبير والشجاع الصغير، إن هؤلاء هم الشجعان الصغار. ويقولون عني إنني أجرد شعر العانة، وهذا يضايقني ضيقًا شديدًا. حتى لقبي كابُّوريه أنا لا أحبه، ولكن إن قيل عني أجرد شعر العانة فلن أسكت.

انتفض غضبًا من لا شيء وهبط من سريره، وأعاد ربط حزامه ثم واصل كلامه وقد تغيَّر لون وجهه: سوف أذهب وأعيد لهم لوح تبادل المعلومات هذا في وجههم. إن أفكار

الحرية توجد منذ عصر إيدو. إن هذا وقت عدم نسيان الحكمة والخير والشجاعة. حسنًا أيها السادة، اتركوا الأمر لي؛ لأنني أنوي أن أرمي لهم هذا اللوح وأعود.

فقال أسد إتشيغو وهو يمسح أرنبة أنفه بالمنشفة: مهلًا، مهلًا. لا يجب عليك أنت الذهاب. دع هذا الأمر لذلك الأستاذ.

– تقصد هيباري؟

بدا على كابُّوريه عدم الرضا بشدة.

– أعتذر عن قول ذلك ولكن هذا الأمر أثقل من أن يحمله هيباري. إن بيننا وبين جيراننا مشاحنات سابقة، ولم يبدأ هذا الأمر الآن، ولا يمكن أن أسكت وأنسحب منعزلًا بعد أن قالوا عني أجرد شعر العانة. إنها مسألة الحرية أو الكبت. والحرية والكبت، تتعلَّق كذلك بأن الحكمة أن يغيِّر المرء وضعه طبقًا لتغيُّر الظروف. يبدو أن هؤلاء القوم ليس لديهم أي فكرة عن الروح المسيحية، وإن لزم الأمر يجب أن أُظهر لهم براعة ذراعي، ومن المستحيل أن يستطيع هيباري ذلك.

– سأذهب أنا.

نزلت من سريري ومررتُ برشاقة من أمام كابُّوريه، وفي نفس اللحظة أخذت منه لوح تبادل المعلومات وخرجت من الغرفة.

بدا جو غرفة البجعة البيضاء أحر من الجمر أثناء انتظار رد غرفة زهرة الكرز. وعندما دخلت الغرفة تجمَّع طُلابها الثمانية حولي في ضجة.

– ما رأيكم؟ أليس مقترحًا مثيرًا؟

– رجال غرفة زهرة الكرز ضعفاء أليس كذلك؟

– مستحيل أن تخونونا أليس كذلك؟

– يجب علينا نحن جميع الطلاب الاتحاد ومطالبة مدير الصالة بطرد الطاووس. من الخسارة إعطاء حق المشاركة السياسية للقرد المضحك.

هكذا صخب الجميع متحدثين في وقت واحد، وبدا الجميع كأنهم أطفال برءاء مشاكسون، فقلت بصوت أعلى من أصواتهم جميعًا.

– ألَا تتركون الأمر لي؟

ساد السكون المكان للحظة واحدة، ثم مرةً أخرى عاد الصخب على الفور.

– لا تتطفل على الأمر. لا تحشر نفسك.

– هل أنت يا هيباري رسول السلام؟

– إن توتر غرفة زهرة الكرز غير كافٍ؛ فاليابان حاليًّا في وقت عصيب.

– ألَا يسيل لعابكم في التعبُّد لوجوه الجميلات ناسين أنكم سقطتم لدولة من الدرجة الرابعة؟

– ما هذا؟ كيف تقول لنا اتركوا لي الأمر وأنت جبان؟

فصرختُ وأنا أفرد ظهري باستقامة: حتى وقت الخلود للنوم هذه الليلة، سأقوم بإبلاغكم. ولو لم يعجبكم تصرفي وقتها فسوف نستجيب لاقتراحكم.

مرةً أخرى ساد السكون.

٣

– هل أنت معارض لاقتراحنا؟

بعد فترة صمت سألني رجل في الثلاثين من العمر بعينين مهولتين يُسمى الأفعى.

– أوافق بشدة. وبخصوص ذلك أنا لديَّ خطة في منتهى التشويق. أرجو منكم السماح لي بتنفيذها رجاءً حارًّا.

كان الجميع وكأن أرواحهم خواء.

موافقون أليس كذلك؟ أشكركم شكرًا جزيلًا. سأستعير هذا اللوح حتى المساء.

ثم خرجت بسرعة من الغرفة. هذا كافٍ. لم يكن بالأمر الصعب. لا يتبقى إلا أن أطلب من تاكي سان حل المشكلة.

ولَمَّا عدتُ إلى الغرفة قال كابُّوريه بمشاعر مغتاظة على الدوام: هيباري فاشل. لقد خرجتُ إلى الممر وسمعت ما دار. بهذا السلوك لم تُحل المشكلة، فكان من الأفضل أن تنهال عليهم بالقول سواء الروح المسيحية أو الحكمة أن يغير المرء وضعه طبقًا لتغيُّر الظروف. أن تكلِّمهم عن الحرية والأغلال! هؤلاء الثلة لا يعرفون المنطق؛ لذا أقصر طريق أن تقول لهم كلامًا متناسقًا. لماذا لم تقل لهم إن أفكار الحرية هي كالحَمَام والهواء؟

فقلت له فقط: أرجو أن تدع الأمر لي حتى المساء.

ثم رقدتُ على سريري.

حقًّا، لقد أتعبني هذا قليلًا.

قال إتشيغو وهو نائم كما هو بصوت له مهابة: لندع الأمر له. لنتركه له.

لذلك لم يقل كابُّوريه شيئًا أكثر من ذلك، وبدا أنه فقد حماسه وذهب للنوم.

لم يكن لديَّ خطة ولا أي شيء، ولكنني فقط كنت متفائلًا أنني إن أريت لوح تبادل المعلومات إلى تاكي سان فسوف تتصرَّف بطريقة جيدة وتحل المشكلة. وفي وقت تمارين الانحناء والتمدُّد في الساعة الثانية، مرَّت تاكي سان في الممر أمام الغرفة، ثم نظرت تجاهي نظرةً سريعة؛ لذا أشرت لها بيدي اليمنى إشارةً خافتة لكي تأتي. أومأت إيماءةً خفيفة ودخلت الغرفة على الفور.

سألتني بجدية بالغة: ماذا تريد؟

قلتُ لها بصوت هامس وأنا أواصل تمرينات القدم: عند الوسادة، عند الوسادة.

فرأت لوح تبادل المعلومات عند الوسادة، وأخذتها بيدها وقرأتها قراءةً سريعة ثم قالت بنبرة هادئة: أَعِرني إياها.

ثم وضعَت اللوح تحت إبطها.

– لا خجل من تصحيح الخطأ، وكلما كان ذلك أسرع كان أفضل.

أومأت تاكي سان إيماءةً خفيفة بوجه ينم على أنها فهمت كل شيء، ثم ذهبت إلى النافذة التي بجوار وسادتي وبدا أنها تتأمل المنظر خارج النافذة في صمت.

ظلَّت فترةً مولية وجهها نحو النافذة، ثم همست بنبرة صوت طبيعية ليس فيها كُلفة أو تصنع: شكر الله لك تعبك يا سيد غِن!

أسفل النافذة كان العامل العجوز المُسمى غِن قد بدأ قلع الحشائش الضارة منذ بضعة أيام.

أجاب عليها السيد غِن من أسفل النافذة: لقد قلعتها مرةً في موسم الأوبون ومع ذلك فهل هي تنبت مجددًا.

لقد انبهرتُ من صدى كلمة تاكي سان «شكر الله لك تعبك» لدرجة الرغبة في التأوه. لقد انبهرت أيضًا بموقفها المشرق المستقر الذي بدا وكأنها لا تهتم ولو قليلًا بأمر لوح تبادل المعلومات، ولكنني تأثرت أكثر من ذلك من رقي صدى صوتها المشفق، وكأنه صوت المالك الذي يوجِّهه من طرف البيت المُطل على الحديقة إلى الجنايني العجوز، نبرة صوت في منتهى الراحة والاسترخاء. يجعل المرء يشعر بأنها تربَّت تربيةً في منتهى الرقي. لقد قال إتشيغو ذلك يومًا ما، لا شك أن أم تاكي سان كانت امرأةً عظيمة جدًّا، ولقد شعرت بارتياح كبير أكثر أنني إن تعهَّدت بأمر مساحيق التجميل الصارخة إلى تاكي سان فمن المؤكد أنها ستحل المشكلة بسهولة منقطعة النظير.

٤

ثم كانت تلك الثقة التي أوليتها لها عادت لي بنتيجة رائعة أكثر بكثير ممَّا كنت أتوقع. في الساعة الرابعة وقت الطبيعة، سُمع فجأة من مكبرات الصوت في الممرات صوت موظف الإدارة يقول: كما أنتم. نرجو منكم الاستماع بنفس أوضاعكم كما أنتم. بخصوص مساحيق تجميل المساعِدات الصارخة التي ظلَّت تسبِّب مشاكل منذ مدة، لقد جاءنا الآن من المساعِدات ما يفيد أنهن قرَّرن تصحيح ذلك الوضع بمبادرة ذاتية منهن.

فسمعنا صيحات السعادة تضج من غرفة البجع المجاورة، ثم استمرت الإذاعة الطارئة متواصلة: بعد وجبة العشاء هذه الليلة سوف تزيل كل واحدة منهن مساحيق وجهها، وكموعد أخير في وقت التدليك في الساعة السابعة والنصف مساءً، سيراهن الطلاب في مساحيق وجه بسيطة لا تسبِّب سوءًا مسيئًا لهن من الجنود الأمريكان. والآن تريد المساعِدة الآنسة ماكوتا أن توجه كلمة اعتذار إلى جموع الطلاب؛ ولذا نرجو منكم تقبل مشاعرها البريئة.

الآنسة ماكوتا تلك؛ أي الطاووس. سعلت الطاووس قليلًا ثم قالت: واتاشي كوتو «إنني ...»

فضجت الغرفة المجاورة بضحكات صاخبة، وحتى غرفتنا ضحك الجميع ضحكات خفيفةً رغمًا عن إرادتهم.

– واتاشي كوتو.

صوت رفيع جذَّاب يشبه صياح الجدجد.

– إنني ... دون مراعاة للوقت ولا لطبيعة المكان، ومع أنني الأكبر سنًّا، فعلتُ شيئًا مؤسفًا لا يجب فعله؛ ولذا أقدِّم لكم بخالص اعتذاري العميق، وأرجو منكم نصحي وإرشادي مستقبلًا.

فسُمعت من الغرفة المجاورة صيحات الرضا.

– حسن. هذا جيد.

نظر كابُّوريه تجاهي بطرف عينه وقال بشفقة: يا لها من مسكينة!

شعرت بالألم قليلًا.

ثم ظهر الموظف الإداري لينهي الأمر: في النهاية ثمة رجاء من جميع المساعِدات، يرجون منكم تغيير لقب المساعِدة ماكوتا المعتاد في التو والحال. بهذا ننهي الإذاعة الداخلية الطارئة اليوم.

وعلى الفور جاء لوح تبادل المعلومات من غرفة البجعة المجاورة.

– نحن جميعًا راضون، ونقدِّر مجهود هيباري الكبير، ويجب تغيير لقب «الطاووس» إلى «واتاشي كوتو».

وعلى الفور أبدى كابُّوريه اعتراضه على اللقب الجديد، قائلًا: إن تغيير لقبها إلى «واتاشي كوتو» أمر بالغ القسوة.

– أليس هذا أمرًا بالغ الوحشية؟ لقد كانت مع ذلك تتكلم بكل ما لديها من جهد. ألم يُطلب منا أن نتقبَّل مشاعرها البريئة؟ إن هذا هو النظر إلى الطيور التي تطير في الهواء. لا أحد أفضل من أحد، وكما يُقال في الأمثال من حفر حفرةً لأخيه. إنني أُعارض ذلك بشدة. إن الطاووس سوف تزيل المساحيق وتُظهر لون بشرتها السمراء؛ لذا من الأفضل أن تُلقَّب بالغراب.

بل على العكس هذا اللقب سيكون أكثر وحشيةً وقسوة. لا حيلة في الأمر.

– إن الطاووس ستصبح متواضعةً لذا من الأفضل أن تُلقَّب بعصفورة.

قال إتشيغو ذلك ثم ضحك بصوت عالٍ.

إن لقب عصفور منطقي ولكنه ليس مشوِّقًا، ومع ذلك فهذا رأي كبيرنا في الغرفة؛ لذا كتبتُ أنا في لوح تبادل المعلومات: لقب «واتاشي كوتو» بالغ القسوة، أليس لقب عصفورة مناسب؟ وجعلت كابُّوريه يعيده إليهم. وبدا أن سيلًا من مقترحات اللقب الجديد تدفَّقت على غرفة البجعة من جميع غُرَف الصالة، ولكن ربما يستقر الأمر في النهاية على «واتاشي كوتو»؛ فمهما قلنا كان وضع الطاووس وقتها وقد سعلت سُعالًا خفيفًا ثم نطقت قائلة: «واتاشي كوتو» رائع بشكل خاص ولا يُنسى، وكان أي لقب يكون شاحبًا أمام «واتاشي كوتو».

٥

في موعد تدليك الساعة السابعة جاء إلى غرفة الكرز كلٌّ من السمكة الذهبية ومابو وحُمى الشيطان وتاكي سان تحمل كلٌّ منهن الطست المعدني. جاءت تاكي سان مباشرةً تجاهي بهدوء. كانت السمكة الذهبية ومابو من الأسماء التي عُدت ضمن صاحبات المساحيق الصارخة؛ ولذا عندما نظرت إلى شكلهما وقت دخولهما غرفتنا تلك الليلة بدا أن شعرهما قد تغيَّر قليلًا، ولكن مع ذلك ظلتا تضعان مساحيق التجميل نوعًا ما.

وعندما قلت لتاكي سان بصوت خفيض: ما هذا؟ إن مابو ما زالت تضع أحمر شفاه.

بدأت تاكي سان التدليك وهي تقول: ومع ذلك لقد حدثت ضجة كبرى وهن يمسحن ويغسلن وجوههن. من المستحيل الامتناع مرةً واحدة مهما قيل لهن؛ فهن ما زلن في عمر صغير.

لقد عملت عملًا رائعًا يا تاكي سان.

لقد حذَّرهن مدير الصالة من قبلُ عدة مرات. عندما سمع المدير الإذاعة اليوم من مكتب الإدارة بات في مزاج رائع، وسأل من صاحب مقترح الإذاعة تلك، وعندما قلت له إنه اختراع هيباري، قال إنه فتًى مبهج، وضحك وهو الذي من النادر أن يبتسم.

كانت تاكي سان اليوم كثيرة الكلام ربما بسبب أنها هي أيضًا كانت مستثارةً من حادث أحمر الشفاه هذا.

– إنه ليس اختراعي.

فيما يتعلَّق بمنجزات الانتصار في الحرب يجب إعادة الأمور إلى صوابها.

– نفس الشيء؛ فلو لم تتحدَّث معي يا هيباري فلم أكن لأفعل شيئًا؛ فما من أحد يريد أن يقوم برضاه بلعب دور المغضوب عليه.

– هل غُضب عليك؟

– كلا.

هزَّت رأسها بابتسامتها المنعشة المميزة إياها وأكملت: لم يغضب عليَّ أحد ولكن كان أمرًا شاقًّا.

– أنا أيضًا تألَّمت من كلمة الطاووس.

– أجل، الآنسة ماكوتا. لقد تقدَّمت من نفسها وطلبت إلقاء كلمة تحية. إنها إنسانة طيبة القلب بلا نوايا شريرة، ويبدو أنها غير ماهرة في وضع مساحيق التجميل، حتى أنا أضع القليل من أحمر الشفاه، ولكنك مثلًا ليس لا تلاحظ ذلك، أليس كذلك؟

– ماذا؟ أنت شريكة في نفس الجرم؟

– لا بأس من وضعه بدرجة غير ملحوظة.

قالت ذلك بوجه هادئ البال وواصلت التدليك!

قلتُ لنفسي إنها أنثى حقًّا، ثم لأول مرة منذ أن جئتُ إلى صالة الألعاب أرى تاكي سان جذابة، حتى الأسبور العملاق لا يمكنك الاستخفاف به.

ما رأيك أنت؟ إنني أكرِّر مرةً أخرى حثَّك على زيارة الصالة. هنا ثمة امرأة تستحق احترامك. إنها ليست ملكًا لي ولا لك. إنها الجوهرة الوحيدة التي تفخر بها اليابان أمام

العالم أجمع. لقد أضحت طريقة مدحي لها تتسم ببعض المبالغة، ممَّا يجعلني أنا نفسي أفقد النطق أمامها، ولكن في كل الأحوال، أليس المرأة الشابة التي تجعلك تُكِن لها مشاعر ود بدون رغبات جنسية قليلة العدد. أفترض أنك أنت أيضًا لم تعد تحمل تجاه تاكي سان مشاعر جنسية. أعتقد أنها فقط مشاعر ود حميمية، وهنا يكمن انتصارنا نحن الرجال الجدد. لا يفهم إلا نحن أن العلاقة بين الرجل والمرأة يجب أن تقتصر على الود والثقة؛ بمعنى أنها الثمرة الجميلة التي تعطيها السماء للرجل الجديد فقط لكي يتذوَّقها. إن كنت تريد ذلك المذاق الرائع الصافي، أيها الشاعر الشاب، فما عليك إلا أن تزور هذه الصالة.

مع أنك ربما تكون قد تذوَّقت بالفعل ثمرةً أكثر جمالًا ونقاءً وروعة في محيطك بالفعل.

٢٠ أكتوبر

الأستاذ كاشو

١

لقد أسعدتني زيارتك أمس سعادةً لا حدود لها، بل إنك أحضرت لي معك باقة ورد، وأهديت لكلٍّ من تاكي سان ومابو قاموسًا أحمر صغيرًا للغة الإنجليزية. يا لها من فكرة لطيفة تليق بشاعر! ولقد شعرت بالامتنان لك بصفة خاصة لجلبك هديةً لكلٍّ من تاكي سان ومابو؛ فلقد أخذتُ من كلتيهما علبة حفظ السجائر ودمية الخيزران المسماة ابنة فوجي، ممَّا جعلني في حرج قليل تجاههما، وفي الوقت الذي كنت أفكِّر داخلي أنني يجب عليَّ الرد بإهدائهما شيئًا ما قريبًا، تصرَّفت أنت بذكاء وأتيت بتلك الهدايا؛ ممَّا جعلني أشعر براحة عظيمة. يبدو أنك لديك وجهًا أكثر جِدةً مني؛ فأنا ما زلت أشعر بقليل من القلق تجاه تَلَقي هدية من امرأة ما أو إعطائها هدية. أرى أنه أمر لا يليق. ربما كان ذلك الجزء القديم مني. يجب عليَّ أن أتعلَّم منك القدرة على تبادل الهدايا ببساطة ودون خجل. لقد شعرت أنني تعلَّمت منك مرةً أخرى شيئًا جديدًا، وأدركت أنني قد رأيت فضيلةً مبهجة.

عندما قالت مابو جاءك زائر، وأدخلتك الغرفة خفق قلبي بشدة وكأنه قد أُصيب بنزيف داخلي. تُرى هل تدرك وضعي وقتها؟ بالطبع كانت فرحتي عظيمةً برؤيتك بعد غياب طويل، ولكن ما أثار دهشتي أكثر من ذلك، كان رؤيتي لك أنت ومابو تدخلان عليَّ معًا وأنتما تضحكان وكأنكما صديقان قديمان. أحسستُ أن ذلك منظر من قصة خيالية. ولقد شعرت مرةً بمشاعر شبيهة بتلك المشاعر في ربيع العام الفائت.

في ربيع العام الفائت مع تخرُّجي من المدرسة المتوسطة، أُصبتُ بالْتهاب رئوي، وبسبب ارتفاع الحُمى كنتُ أشعر بدوار، وعندما نظرت فجأةً إلى جانب فراش المرض وجدت الأستاذ كيمورا معلم فصلي في المدرسة المتوسطة يقف مع أمي ويتحدَّث معها مبتسمًا.

وقتها أيضًا اندهشت بشدة. الاثنان اللذان يسكن كلٌّ منهما منفصلَين في عالمين بعيدين ومختلفين تمامًا هما البيت والمدرسة، يتحدَّثان معًا بجوار سريري وكأنهما صديقان قديمان، كان ذلك في الواقع عجيبًا، فرقص قلبي فرحًا بمشاعر سعادة وكأنه ارتبك ارتباكًا فظيعًا من مشهد خيالي يشبه عثوري على جبل فوجي عند بحيرة توادا (بحيرة توادا في محافظة أوموري شمال اليابان وهي مسقط رأس دازاي، بينما جبل فوجي في وسط اليابان).

قلتَ لي: يبدو أنك شفيت تمامًا، أليس كذلك؟

ثم أعطيتني باقة الورد، وعندما رأيتني محتارًا طلبتَ من مابو قائلًا بنبرة شديدة التلقائية: أرجو أن تعيري هيباري مزهرية، ولا مانع في أن تكون مزهريةً متواضعة.

فأومأت مابو وذهبت لإحضار المزهرية. آه لقد كان ذلك يبدو حلمًا بالنسبة لي. لم أستطع استيعاب كل شيء، فقفز مني سؤال بليد: هل كنت تعرف مابو من قبل؟

– ألَا أعرفها من خلال رسائلك؟

– حقًّا!

ثم ضحكنا معًا.

– هل عرفت أنها مابو على الفور؟

– عرفتها من أول نظرة. ألطف بكثير ممَّا توقعت.

– ماذا مثلًا؟

– أنت لحوح. ما زال لديك نية أليس كذلك؟ لم تكن بذيئةً كما توقعت. أليست مجرد طفلة صغيرة؟

– أحقًّا هذا؟

– ولكنها ليست سيئة. إحساس العظام الرفيعة لها ليس سيئ.

– أحقًّا هذا؟

كنتُ في منتهى الاستمتاع.

٢

عادت مابو حامِلةً مزهرية بيضاء رفيعة وطويلة، فأخذتها أنت منها وقلت لها: شكرًا.

ووضعت الزهور بطريقة عشوائية وأضفت: أرجو أن تعيد تاكي سان فيما بعد تنسيقه.

ولكن كان ذلك موقفًا سيئًا قليلًا منك؛ فمع أنك أخرجت من جيبك على الفور القاموس الصغير السالف الذكر وأعطيته لها لم يبدُ على وجهها السرور، بل انحنت في صمت انحناءةً مؤدبة وخرجت من الغرفة بخطوات سريعة، وهذا كما هو متوقع دليل على أن مزاجها قد تعكَّر قليلًا؛ فمابو ليست بالشخص الذي ينحني مثل هذه الانحناءة المؤدبة غير الودية، ولكن لا حيلة في الأمر؛ فأنت لا يعنيك أمر أي شخص آخر باستثناء تاكي سان.

– الجو اليوم رائع؛ لذا لتذهب إلى الشرفة ونتحدث هناك؛ فنحن الآن في راحة الغداء ولا مانع من ذلك.

– أعرف كل شيء من خلال رسائلك، ولقد أتيت أنا مستهدِفًا وقت راحة الغداء هذا، وعلاوةً على ذلك فاليوم هو يوم الأحد، يوم الإذاعة الترفيهية.

خرجنا معًا من الغرفة ضاحكَين وصعِدنا درجات السلم، ومنذ ذلك الوقت غدونا نحن الاثنان جديين فجأةً نناقش أمور الوطن والعالم، تُرى لماذا صار الأمر هكذا؟ فنحن أعطينا بالفعل أرواحنا إلى المقام المقدس، ونحن على أهبة الاستعداد للطيران بخِفة إلى أي مكان طبقًا لأوامره لنا، ويُفترض أنه ما من شيء يستحق النقاش، ومع ذلك دبَّ الحماس فينا، وكشفنا عن مشاعرنا الداخلية بشأن إعادة بناء اليابان الجديدة؛ فربما أن الرجال مهما كانت درجة الود بينهم عندما يتقابلون معًا بعد غياب طويل تسيطر عليهم مشاعر الحيرة بسبب الرغبة في أن يجعل الطرف الآخر يعترف بإنجازاته، فيتبادلون الحديث بنوع من الغرور كما حدث معنا. حتى بعد خروجنا للشرفة، غضبتَ أنت وقلت إن التعليم الأساسي في اليابان فاشل.

– لأن نوع التعليم الذي يتعلَّمه المرء في صِغره هو الذي يقرِّر حياته كلها فيما بعد، وأرى أنه يجب التوسع أكثر في إبعاد كبار العظماء.

– أجل. حتى لو فكَّرنا في الأجور فقط فهؤلاء الرجال لا ينفعون.

– أجل هو ما تقول. أنت على حق تمامًا. لا يُفترض أن ينجح شيء بخداع النفعية فقط. لقد شبعنا من مُهاترات الكبار.

– بالضبط. لقد قَدُم أسلوب الادعاء السطحي، أليس هذا الأمر واضحًا وشفافًا؟

يبدو أنك أنت أيضًا على نفس مستواي من رداءة النقاش. لقد بدا أننا نردِّد ونكرِّر نفس القول مرات ومرات، ثم أثناء ذلك بدأ نقاشنا السيئ هذا يتقطَّع تدريجيًّا، فأخذت كلمات مثل: «مجرد» أو «بمعنى» أو «على كل حال» أو «في النهاية» تتطاير من أفواهنا وتتدلَّى. وفي ذلك الوقت ظهرت فجأةً تاكي سان فوق النجيلة التي أمام المدخل الرئيس أسفل منا، فناديتُ عليها بلا وعي: تاكي سان!

وفي نفس الوقت أصلحت أنت من هندامك، ما معنى ذلك؟ وضعت تاكي سان كفها على جبينها ونظرت إلى الشرفة، وقالت وهي تضحك: ماذا حدث؟

ما رأيك؟ ألم يكن موقف تاكي سان وقتها رائعًا؟

قلتُ لها: يوجد هناك شخص يقول إنه يحب تاكي سان جدًّا.

فقلتَ أنت: كفى، كفى.

يبدو أنه في ذلك الموقف لا تخرج في الواقع إلا كلمة كفى، كفى الساذجة تلك.

٣

فقالت تاكي سان: مقزِّز.

ثم لوت عنقها بالعرض بزاوية أكبر من ٤٥ درجةً ووجَّهت لك الحديث وهي تضحك قائلة: مرحبًا بك.

فاحمرَّ وجهك حمرةً فاقعة ثم انحنيت فجأة، ثم قلتَ لي بصوت خافت بدا متذمرًا: ما هذا؟ إنها جميلة جدًّا! لقد كنتَ تستخف بي. لقد كنت تكتب في رسائلك أنها فقط شخص عظيم ضخم الجسد؛ لذا اطمأن قلبي في مديحها. ولكن ما هذا؟ إنها بارعة الجمال.

– هل اختلفت توقعاتك؟

– اختلفت، اختلفت، اختلافًا عظيمًا؛ لأنك تقول حجمها ضخم؛ فقد ظننتها في حجم الحصان. ما هذا؟ إنها يجب أن توصف بالرشاقة، حتى لونها، ليست سمراء مطلقًا. أنا أخاف من مثل هذه الجميلة. إنها خطر!

إلى آخر ما قلتَ بنبرة كلام سريعة متعجلة، وأثناء ذلك انحنت تاكي سان انحناءةً خفيفة وكانت على وشك التوجه إلى العنبر القديم؛ لذا ارتبكت أنت وقلت: أنت أوقف تاكي سان واجعلها لا ترحل فثمة هدية لها.

ثم بحثت في جيبك وأخرجت القاموس الصغير إياه، فناديتها بصوت عال «تاكي سان» وأوقفتها.

– معذرة ولكن سألقي بها إليكِ. لقد طلب هيباري مني شراء تلك الهدية؛ فهي ليست مني أنا.

كما توقعتُ كنتَ في منتهى الازدهار وأنت ترمي لها برشاقة ذلك القاموس الظريف ذا الغلاف الأحمر. لقد أبديت لك عظيم الاحترام في داخلي. تلقَّت تاكي سان هديتك البريئة بصدرها بمهارة، ثم توجهت إليك بكلمة الشكر قائلة: أشكرك.

مهما قلتَ أنت فإنها تعرف أن الهدية منك أنت. أطلقتَ زفرة أسًى وأنت تتأمل ظهر تاكي سان وهي تتجه إلى العنبر القديم ثم همست بجدية بالغة: خطر، إنه أمر خطر.

ممَّا جعلني أضحك مستغربًا.

– ما من أي خطر على الإطلاق! عادي أن تكون مهمًّا بمفردك في غرفة حالكة الظلام. لقد خضتُ تلك التجربة بالفعل.

– هذا لأنك شخص بليد المشاعر.

قلت لي ذلك بنبرة مشفقة ثم أضفت: حتى إنك لا تعرف الفرق بين الجميلة والدميمة، أليس كذلك؟

أغضبتني تلك الكلمة، مع أنك أنت الذي لا يفهم أي شيء! وإن بدت تامي سان بهذا الجمال فمن المؤكد أن جمال قلبها انعكس على قلبك الصافي. عند ملاحظة الأمر بهدوء فتاكي سان ليست جميلةً بالمرة، بل إن مابو أجمل منها بدرجة بعيدة. والموضوع فقط أن شعاع الرقي النابع من روح تاكي سان يُظهرها جميلة. وأنا أعتقد أنني أملك عينًا أكثر صرامةً منك بمراحل فيما يتعلق بملامح المرأة. ولكن في ذلك الوقت لأنني فكَّرت أن الجدال بشأن وجوه النساء أمر بذيء فقد التزمتُ الصمت. يبدو أننا نغدو عصابيين عندما يتعلَّق الأمر بتاكي سان، فيميل الموقف بيننا إلى أن يكون كئيبًا. أمر غير جيد، ولكن أرجو منك بصدق أن تثق في رأيي؛ أن تاكي سان ليست جميلة. وليس في الأمر أي خطورة. أليس غريبًا أن تكون خطرة! كل ما في الأمر أن تاكي سان مثلك، إنسان في منتهى الجدية.

وقفنا في الشرفة في صمت لفترة ثم ذكرتَ أنت فجأةً أن أسد إتشيغو جاري في الغرفة هو الأستاذ كاشو أوتسوكي الشاعر الشهير، فذهب أمر تاكي سان أو غيرها أدراج الرياح.

٤

مستحيل!

كنتُ كأنني في حلم من الأحلام.

يبدو لي أنه هو. عندما ألقيت عليه نظرةً سريعة منذ قليل أصبتُ بدهشة. إن أخي الأكبر ورفاقه من أشد المعجبين به؛ لذا فأنا أعرفه بأنني شاهدت صوره كثيرًا منذ كنتُ طفلًا، بل إنني كذلك كنت من المعجبين بأشعاره، بل إنك أنت كذلك من المؤكد أنك تعرف اسمه على الأقل.

أعرفه بالتأكيد.

إنني مهما فعلت لا أستطيع عمل علاقة جيدة مع الشعر، ولكن مع ذلك أعرف جيدًا قصائد كاشو أوتسوكي، بل لدرجة أنني أحفظ عن ظهر قلب قصيدة أميرة السوسن وقصيدة النورس، ويمكنني ترديدها الآن من الذاكرة. وكان من المستحيل أن أصدِّق فجأةً أنني كنت على مدى عدة أشهر أنام في السرير المجاور لمؤلف تلك الأشعار. إنني لا أفهم مطلقًا في الشعر، ولكن كما تعلم فيما يتعلَّق باحترام وتقدير الشعراء الموهوبين على العكس لا أتأخر عن الآخرين.

هذا الرجل! حقًّا؟

ظَلِلت لبعض الوقت بمشاعر لا حدود لها.

ارتبكتَ فجأةً وقلت: لا أعرف ذلك معرفةً مؤكدة لا تقبل الشك؛ لأنني لم أرَه إلا للحظة منذ قليل.

وقرَّرنا على كل حال النظر إليه بإمعان، ولأن وقت الإذاعة الترفيهية ليوم الأحد كانت على وشك أن تبدأ؛ لذا عدنا إلى غرفة الكرز في الطابق الأسفل. كان إتشيغو نائمًا، ولم يسبق لي أن رأيته عظيمًا كما كان وقتها. لقد بدا حقًّا كالأسد النائم في عرينه. نظرنا إلى بعضنا البعض وتبادلنا الإيماء، ثم زفرنا نحن الاثنان في وقت واحد زفرةً عميقة، ومن شدة التوتر لم نستطع أن نتبادل أي حوار ولا غيره، بل ظَلِلنا واقفَين وظهرنا للنافذة نسمع فقط في صمت أسطوانة الإذاعة الداخلية. تتابع البرنامج، وعندما بدأت أخيرًا الفقرة الثانية الجذابة لذلك اليوم حيث تغنِّي المساعِدات أغنية «فتاة أورليانز»، ضربتَ بكوعك الأيمن بطني ضربةً قوية وهمست لي بحماس بالغ: هذه الأغنية من تأليف الأستاذ كاشو!

وعندما قيل لي ذلك تذكَّرت فعلًا أنني في طفولتي قرأتها في مجلة للصغار مع رسومات توضيحية على أنها رائعة من روائع الأستاذ كاشو، وأنها انتشرت انتشار النار في الهشيم. راقبنا بانتباهٍ ملامح وجه إتشيغو. كان حتى ذلك الوقت نائمًا على ظهره فوق سريره يغمض عينيه برقة، ولكن عندما بدأ غناء «فتاة أورليانز» فتح عينيه ورفع رأسه عن الوسادة قليلًا لكي يصيخ بأذنيه، ثم أغمض عينيه في النهاية مرةً أخرى، وضحك وهو مغمض العينين ضحكةً حزينة خافتة، ففعلتَ أنت حركةً مريبة بأن صنعتَ من يدك اليمنى قبضةً وكأنك تضرب بها الهواء، ثم طلبت مني المصافحة. تصافحنا مصافحةً متينة دون حتى أن نبتسم. عندما أفكِّر في ذلك الآن، أتساءل ماذا كان معنى مصافحتنا تلك، لا أدري، ولكن وقتها لم نكن نتحمَّل مواصلة الوقوف ولم تكن لمشاعرنا أن تهدأ دون تلك المصافحة.

لقد كنتُ أنا وأنتَ كذلك في منتهى الهياج العاطفي، وعندما انتهت أغنية «فتاة أورليانز» قلتَ لي بصوت مبحوح مريب: حسنًا، سأستأذن أنا.

فأومأت أنا وخرجت معك للردهة في وداعك، وعندها صحنا في نفس الوقت: أمر مؤكد!

٥

حتى الآن يُفترض أنك تعرفه، حسنًا بعد وداعي معك وعودتي للغرفة وحيدًا، تخطَّت مشاعري درجة الهياج، ووصل الأمر إلى وقوعي في حالة من الرعب لدرجة أن وجهي بات مزرقًّا شاحبًا. حاولت ألَّا أنظر إلى إتشيغو متعمدًا، ونمت على ظهري فوق سريري، ولكن كانت مشاعري لا تهدأ وقد اختلطت مشاعر الرعب مع القلق مع الحيرة والارتباك، وفي النهاية لم أعد أحتمل، فناديته بصوت خافت جدًّا قائلًا: أستاذ كاشو!

لا رد. فاستجمعت شجاعتي فلويت وجهي ناحية الأستاذ كاشو. كان إتشيغو قد بدأ تمرينات الانحناء والتمدد في صمت. بدأت أنا أيضًا التمرينات على عجل. استطعت أثناء إبعاد ساقي عن بعضهما البعض بأقصى حد ممكن، وثني أصابع كلتا يدي للداخل بالترتيب بدايةً من الخنصر، استطعت أن أسأله بنبرة صوت هادئة نسبيًّا: على الأرجح أنهن غنين تلك الأغنية دون معرفة مطلقًا من هو مؤلفها.

فأجاب برزانة: لا بأس من نسيان أمر المؤلف.

فأخيرًا عرفت أن ذلك الشخص هو الأستاذ كاشو بلا أي شك.

– أعتذر عمَّا بدر مني حتى الآن. لقد عرفت ذلك الأمر لأول مرة بعد أن أخبرني صديقي به. صديقي هذا وأنا أيضًا نحب أشعارك منذ طفولتنا.

فقال بجدية: أشكرك. ولكن حتى الآن كنت مرتاحًا وأنا إتشيغو.

– لماذا؟ ألَا تكتب شعرًا مؤخرًا.

– لقد تغيَّر العصر.

ثم ضحك بصوت صاخب.

اختنق صدري فلم أستطع قول شيء عديم الإحساس. واصلنا أداء التمارين لفترة في صمت، ثم صرخ إتشيغو فجأة: لا تهتم بأمر أحد؛ فأنت مؤخرًا تتصرف بصفاقة!

فوقعت في حالة من الرعب؛ فلم يتحدث معي إتشيغو حتى الآن ولو مرةً واحدة بهذه النبرة الفظة مطلقًا. في كل حال ليس أمامي إلا الاعتذار.

– أعتذر لك. لن أذكر ذلك مجددًا.

– أجل. لا تقل شيئًا؛ فأنتم لا تفهمون، لا تفهمون شيئًا.

في الواقع لقد وقعت في موقف متأزم. إن الشعراء أناس مرعبون؛ فأنا لا أعرف ما الذي أخطأت فيه. وفي ذلك اليوم لم نتبادل بعدها كلمةً حتى نهاية اليوم. جاءت المساعِدات للتدليك، ومهما وجَّهن لي أحاديث مختلفة كنتُ حتى النهاية بوجه منتفخ لا أستطيع الرد ردًّا لائقًا، وفي داخلي كنتُ أتحرَّق شوقًا وأريد إبلاغ مابو مثلًا أن جاري إتشيغو هو مؤلف أغنية فتاة أورليانز وجعلها تندهش، ولكن لقد نبَّه إتشيغو عليَّ بالصمت قائلًا: «لا تقل شيئا.» ولذا ما بيدي حيلة في أن أنام تلك الليلة في صمت.

ولكن صباح اليوم، تصالحت ببساطة مع الأستاذ كاشو الذي كان غاضبًا بشدة. ارتحت راحةً عظيمة. لقد جاءت ابنة إتشيغو هذا الصباح لزيارته بعد فترة غياب طويلة. ابنة هادئة اسمها كيوكو وفي عمر مابو تقريبًا، نحيفة القوام ولون وجهها شاحب من المرض، وطرفا عينَيها مرتفعان لأعلى. كُنا بالضبط نتناول وجبة الإفطار. قالت الابنة وهي تفك الصرة القماش الكبيرة التي أتت بها معها: لقد صنعت تسوكوداني وأحضرته معي.

– حقًّا؟ لنأكله الآن على الفور. أخرجيها. أعطي جاري السيد هيباري نصفها.

فقلتُ في سري: ماذا؟! حتى ذلك الوقت عندما يشير إتشيغو إليَّ كان يقول ذلك الأستاذ، أو الطالب أو السيد كوشيبا فقط، ولم يسبِق له أن قال عني ولو مرةً واحدة بلقب هيباري الحميمي بطريقة مريبة.

٦

أتت لي الابنة بالتسوكوداني.

– هل لديك وعاء؟

احترت ونزلتُ من على سرير وأنا أقول: ها، كلا، ضعيه فوق ذلك الرف.

انحنت الابنة وأخرجت صندوق الوجبات المعدني من الرف الجانبي للسرير.

آه، أجل هو ذلك، المعذرة.

قالت وهي منحنية تحت السرير تنقل التسوكوداني في ذلك الصندوق: هل تأكل منه الآن؟

– كلا، لقد أنهيت وجبتي بالفعل.

أرجعت الابنة صندوق الوجبات إلى مكانه ثم وقفت.

– أوه، جميلة.

مدحت زهور الأقحوان التي وضعتها أنت بطريقة عشوائية في المزهرية. ولأنك قلت وقتها لا لزوم له أن أطلب تاكي سان أن تعيد تنسيقه، ممَّا جعلني أخجل من طلب ذلك منها، بل والطلب من مابو كذلك سيبدو متعمدًا؛ ولذا بقيت تلك الزهور على نفسها وضعها دون تغيير.

– أمس وضعها صديق لي بهذا الشكل البائس وما من أحد يعيد تنسيقها لي.

ألقت الابنة نظرةً سريعة على ملامح وجه أبيها.

– أعيدي تنسيقها له.

بدا أن إتشيغو أيضًا قد أنهى وجبته، فقال ذلك ضاحكًا وهو يستخدم خِلَّة@ الأسنان. مزاج هذا الصباح حسن جدًّا فأعطني على العكس زاد من شعوري بالخوف منه.

تورَّد وجه الابنة ثم اقتربت من جانب الوسادة وهي في حالة حيرة وارتباك، فأخرجت كل زهرات الأقحوان من المزهرية وبدأت تنسيقها من جديد. وكنتُ في منتهى السرور أن تعيد تنسيقها فتاة جيدة.

جلس إتشيغو فوق سريره متربعًا وهمس وهو يتأمل ابنته واثقًا ببراعتها في تنسيق الزهور: هل أعود مجددًا لكتابة الشعر!

التزمتُ الصمت مخافة أن أقول ما يعكِّر مزاجه فيصرخ في وجهي مرةً أخرى.

– يا سيد هيباري أعتذر لك عمَّا حدث أمس.

قال ذلك ثم هز عنقه في خبث.

– كلا، على العكس أنا الذي تحدَّثت بصفاقة وجه.

في الواقع تصالحنا ببساطة على غير ما أتوقع.

– هل أعود مجددًا لكتابة الشعر!

كرَّر مرةً أخرى نفس القول.

– اكتب من جديد. أرجوك حقًّا أن تكتب بأي طريقة من أجلنا نحن. نحن الآن أكثر ما نريد قراءته هو شعر نقي وخفيف مثل أشعارك يا أستاذ. أنا لا أفهم في الشعر جيدًا، ولكننا حاليًّا نطلب فنًّا مثل موسيقى موتسارت، ممتعة وصافية في سمو وشموخ. إن الأعمال المبالَغ فيها أو التي تَدَّعي العمق والجدية باتت قديمةً وساذجة. ما من شاعر يكتب لنا بجمالٍ أشعارًا عن العشب اليافع الضئيل الكامن في أركان الأطلال. ليست محاولةً للهروب من الواقع. نحن بالفعل تشرَّبنا العذاب حتى النخاع. نحن على أهبة الاستعداد لعمل أي شيء ببساطة، ولن نهرب؛ فلقد قدَّمنا أرواحنا، فأمسينا بلا أعباء ولا أحمال. أنا

أشعر أن الفن الحقيقي حاليًّا هو الذي يمتلك لمسةً مثل تيار ماء صافٍ ينساب بسرعة ورشاقة ليُقابل مشاعرنا تلك بالضبط. الذي لا يحتاج إلى الحياة ولا إلى الشهرة، وأعتقد أنه لو لم يكن كذلك، فلن يمكن أبدًا أن نتخطى تلك الأزمة الصعبة؛ أي انظر إلى الطير التي تطير في السماء. الأيديولوجية ليست هي القضية. حتى وإن حاولنا الخداع بهذا فهو لن ينجح. سيُدرك درجة نقاء ذلك الشخص من لمسته فقط. المشكلة هي اللمسة، الإيقاع؛ وهو ما هو غير صافٍ ولا شامخ فهو مزيف.

حاولت أن أبذل جهدي في قولٍ نظري أنا في الأصل غير بارع في قوله، وبعد الانتهاء من قوله شعرت بالخجل، وتمنَّيت لو أنني لم أقله.

٧

مسح الأستاذ كاشو أرنبة أنفه بالمنشفة ثم نام على ظهره وقال: هل غدونا في مثل هذا العصر! في كل الأحوال يجب الخروج من هنا.

– هو كذلك، هو كذلك.

وقتها لأول مرة منذ أتيت إلى صالة الألعاب هذه، شعرت خفيةً بعدم الصبر والرغبة الشديدة في أن أكون بصحة بدنية جيدة سريعًا. إنه أمر هباء ولكني شعرت أن طريق البحر السماوي بطيء وسيئ.

ويبدو أن الأستاذ بحساسيته المفرطة لاحظ مشاعري تلك كما ينبغي له، فقال: أنتم أمركم مختلف. لا يجب عليكم الاستعجال. إن عشتم هنا في هدوء فشفاؤكم مؤكد، ثم تستطيعون لعب دوركم العظيم في إعادة إعمار اليابان، ولكن أنا كبرت في العمر بالفعل.

وعندها يبدو أن الابنة قد انتهت من تنسيق الزهور، فقالت بنبرة مرحة: يبدو أنها باتت أسوأ ممَّا كانت.

ثم اقتربت من سرير أبيها ثم عندها قالت له غاضبةً بصوت خافت جدًّا: أبي! ما زلت تشتكي؟ إن مثل هذا ليس يلقى رواجًا الآن.

– هل يعني هذا أن أفكاري لن يتقبَّلها العالم من جديد؟

قال إتشيغو ذلك، ومع ذلك ضحك ضحكًا خافتًا وهو في منتهى السرور.

وأنا أيضًا نسيت تمامًا نفاد صبري الأحمق منذ قليل وابتسمت بسعادة بالغة.

اعلم أن العصر الجديد قادم بالتأكيد، وهو خفيف مثل ريش الطيور، بل وفوق ذلك فهو صافٍ ونظيف مثل جدول ضحل ينساب فوق سلسال الرمال البيضاء. لقد تعلمتُ

في المدرسة المتوسطة من المعلم واشو فوكودا أن الشاعر العظيم باشو أعطى في سنواته الأخيرة مثالًا بـ «الخفة» وأنه وضعها فوق «وابي» و«سابي» و«شيوري»، تلك المشاعر التي كان الشاعر الذي بعبقرية باشو يتوقَّعها ويتوق إليها أخيرًا في نهايات عمره، وصلنا إليها نحن تلقائيًّا، يعني ألَا نقدر على طلب الفخر بها. إن تلك «الخفة» تختلف تمامًا عن الضحالة. لا يمكن أن تفهم تلك المشاعر إن لم تتخلَّ عن الحياة وعن الرغبة. إنها طليعة الرياح التي تهب بعد بذل الجهد والعذاب وتدفُّق العرق مدرارًا. الطائر الخفيف خفةَ أن يكون جناحاه شفافين، الذي يولد ظاهرًا من بين الهواء المضغوط في نهاية الفوضى الكبرى في العالم. الشخص الذي لا يفهم ذلك، سيُبعد إلى الأبد من مسار التاريخ، ويبقى وحيدًا. آه، هذا وذاك سيغدو قديمًا. اعلم أنه ما من منطق ولا نظرية. إن الخفة هي بحق سلام من فقد كل شيء وتخلَّى عن كل شيء.

هذا الصباح، ذكرتُ أمام إتشيغو ما يشبه المنطق الفني البالغ الرداءة، ثم أحسست بسبب ذلك بالخجل المريع، ولكنني انتبهت إلى أن ابنة إتشيغو تمثِّل ما يمكن أن نسميه مؤيدًا خفيًّا لنا، فشعرت بثقة شديدة بالنفس، وأدَّى ذلك إلى أنني سمحت لنفسي هنا أن أحاول كتابة إضافة تكميلية لنظريتي السابقة المتبجِّحة عن الرجل الجديد.

وبالمناسبة لقد كان تقييم زيارتك لصالة الألعاب هذه في منتهى الجودة. أرجو منك أن تُسر لذلك سرورًا كبيرًا. وليس من المبالغة مطلقًا القول إنك بمجرد فقط أن قمتَ بزيارة هذه الصالة تحوَّلت فجأةً إلى مكان مرح ومشرق. أولًا لقد صغر الأستاذ كاشو عشر سنوات كاملات، وتُبلغك كل من تاكي سان ومابو تحياتهما. قالت مابو ما معناه: يا لعينيه الجميلتين! وكأنهما لعبقري. الأهداب طويلة، وكلما طرفت أسمع صوتها عاليًا.

مابو دائمًا تبالغ في كلامها. من الأفضل ألَّا تصدِّقها. هل أعرِّفك بتقييم تاكي سان؟ أرجو منك ألَّا تتخشَّب هكذا وأن تسمع الكلام ببرود أعصاب ولا تهتم به. كان رأي تاكي سان …

– منافسة جيدة معك يا هيباري.

قالت هذا فقط، ولكنها قالته بوجه أحمر.

٢٩ أكتوبر

تاكي سان

١

تحياتي.

سأخبرك اليوم بخبر حزين. ومع قولي حزين ولكنني أشعر بمشاعر حزن غريبة وربما أريد أن أصفه بالحزن الحبيب. تاكي سان سوف تتزوَّج. ستتزوَّج مَن؟ المدير. سوف تتزوَّج الدكتور تاجيما مدير صالة الألعاب الصحية. لقد سمعت ذلك اليوم من مابو.

حسنًا لأبدأ القصة من بدايتها.

لقد حضرت أمي إلى صالة الألعاب صباح اليوم حاملةً معها الكثير من الأشياء من ملابس وغيرها. تأتي أمي مرتين في الشهر لترتيب أغراضي. ألقت نظرةً عميقة على وجهي وقالت ساخرةً مثل كل مرة: ألم يحن الوقت لتشعر بالحنين إلى البيت؟

تعمَّدتُ أن أكذب وأقول لها، مثل كل مرة: ربما كنتُ كذلك.

– لقد سمعتُ أن ثمة مَن سيودِّعني حتى جسر كوميه.

– مَن؟

– حسنًا، مَن يا تُرى؟

– أنا؟ وهل يمكنني الخروج؟ هل صدر لي تصريح؟

أومأت وقالت: ولكن، لو تكره ذلك فلا داعي له.

– أكره؟ لقد بتُّ قادرًا على السير لمسافةٍ لأربعين كيلومترًا كل يوم.

فقالت أمي وهي تقلد طريقتي في الكلام: ربما كنتَ كذلك.

خلعتُ منامتي وارتديت الكيمونو الكاسوري بعد غياب أربعة أشهر، وعندما خرجتُ مع أمي للمدخل كان المدير يقف في صمت وهو يعقد ذراعيه خلف ظهره.

فقالت له أمي وهي تبتسم كأنها تحدِّث نفسها: هل يستطيع المشي؟ ما رأيك؟

فقال المدير مازحًا مزاحًا رديئًا بدون أن يبتسم: يستطيع ابنك الوقوف والمشي منذ كان عمره سنةً واحدة. سأجعل إحدى المساعِدات تذهب معكما.

ظهرت مابو من مكتب الإدارة مرتديةً زي الممرضات الأبيض وعليه معطف نصفي أحمر مزين بتصميمات زهور كاميليا مهرولة تجاهنا، ثم انحنت تجاه أمي بارتباك انحناءةً متواضعة. كانت مابو هي من سيرافقنا.

لبست قبقابي الخشبي الجديد ومشيت للخارج مباشرة. كان القبقاب ثقيلًا بدرجة غريبة، فتعثرت.

فسخر مني المدير مازحًا من خلفي: أوه، قدم الطفل تسير بمهارة.

شعرتُ في نبرته بإرادة قوية وباردة أكثر ممَّا شعرت بالحب، وأحسستُ أنه يوبِّخني قائلًا: يا لك من مهمل! ممَّا ثبَّط من عزيمتي، ثم مشيت خمس أو ست خطوات متعجلًا، فصاح المدير مرةً أخرى من خلفي هذه المرة بنبرة توبيخ علانيةً قاسية: ابدأ ببطء. ابدأ ببطء.

ولكن على العكس شعرتُ مع هذه الكلمات أكثر بالحب والسعادة.

مشيت ببطء. تبعتني أمي ومابو من خلفي وهما تتهامسان بصوت خافت حول شيء ما، وعندما اخترقنا غابة أشجار الصنوبر ووصلنا داخل طريق الأسفلت التابع للمحافظة، شعرت بدوار خفيف فتوقفتُ عن المشي.

– إنه كبير. هذا الطريق كبير جدًّا.

كان طريق الأسفلت يلمع فقط تحت أشعة شمس الخريف الرقيقة، ولكنه للحظة بدا لي وكأنه نهر عملاق هائج لا حدود له.

ضحكتْ أمي وسألتني: هل صعب عليك؟ ما رأيك؟ هل أرجو منك توديعي في المرة القادمة؟

٢

– أنا بخير. أنا بخير.

مشيت وأنا كالعادة أجعل قبقابي يُقرقع بصوت عالٍ وأضفت: لقد تعوَّدت.

وفي ذات اللحظة، مرَّت سيارة نقل بجواري باندفاع مهول ممَّا جعلني أصيح «واه» بلا وعي.

– كبيرة جدًّا، سيارة النقل كبيرة.

سخرت أمي مني وهي تقلِّد طريقة كلامي.

– ليست كبيرةً ولكنها قوية. قوة حصان مهولة. على ما أتذكَّر أنها كانت بقوة مائة ألف حصان.

– حسنا ربما الآن هي سيارة نقل ذرية؟

هذا الصباح أيضًا كانت أمي مبتهجة.

مشينا ببطء وعندما اقتربنا من محطة الباص عند جسر كوميه، سألتها سؤالًا غير متوقع. في النهاية أحاديث متنوعة بين مابو وأمي أثناء السير: سمعت أن مدير الصالة سوف يتزوج قريبًا.

– أجل على الفور سيتزوج من تاكي سان.

– سيتزوج من تاكي سان؟ المساعدة؟

على ما يبدو أن أمي اندهشت، ولكن كانت دهشتي أنا مائة ضعف من دهشتها. تلقيتُ صدمةً وكأن سيارة نقل بقوة مائة ألف حصان طرحتني أرضًا.

أمَّا أمي فقد عاد لها هدوءها سريعًا وقالت: أجل إن الأنسة تاكيناكا إنسانة جيدة جدًّا. إن مدير الصالة يملك عينًا فاحصة كما ينبغي.

ثم ضحكت بمرح ولم تسأل أسئلةً اعتراضية أكثر من ذلك، بل نقلت الحوار إلى موضوع آخر بطريقة لطيفة.

ولا أستطيع تذكُّر بوضوح بأي حال. ودعتُ أمي عند محطة الباص، فقط كان ما أمام عيني غائمًا، وكان قلبي في حالة وكأنه يرقص مُصدرًا صدى صوت عنيف، وكانت تلك المشاعر لا يمكن القدرة عليها مطلقًا.

سأعترف، أنا ... أحبُّ تاكي سان. كنتُ أحبها منذ البداية. لم تكن مابو مثلًا تسبِّب أي مشكلة، بل لقد كنتُ أحاول بأي طريقة نسيان تاكي سان، فاقتربتُ من مابو بصفة خاصة واجتهدتُ في أن أحبها ولكنني فشلت في ذلك مهما فعلت. في الرسائل التي أُرسلها إليك أيضًا، كنتُ أذكر الصفات الجميلة فقط في مابو، وأكتب الكثير من السباب السيئ عن تاكي سان، ولكن لم أكن أقصد أن أخدعك مطلقًا، بل كنتُ أريد أن أمحو مشاعري القلبية

من خلال الكتابة بتلك الطريقة؛ فحتى الرجل الجديد عندما يفكِّر في تاكي سان، يصبح جسده ثقيلًا نوعًا ما، ويتقلَّص جناحاه، ويشعر فعلًا أنه رجل ممل يشبه ذيل الخنزير حقًّا، فيغامر بكرامة الرجل الجديد ويحاول باستماتة أن يرتِّب مشاعره بانتعاش، ويريد أن يكون بلا أي علاقة بتاكي سان، ويشجِّع نفسه وقلبه تشجيعًا حارًّا. أرجو منك أن تتفهَّم قليلًا درجة معاناتي وعذابي، عندما كنتُ أسب تاكي سان سبابًا متنوعًا؛ أنها إنسانة متصنعة المشاعر، أو أنها تشبه سمكة أسبور عملاقة، أو أنها غير ماهرة في التبضُّع ... إلخ. وكنتُ أتأمل في سري أنك لو وافقتني وأنت وبدأت تسبها معي، لربما كنتُ كرهتُها حقًّا، وربما أصبحت خفَّت أحمالي، ولكن خاب ظني، ولأنك أصبحتَ مهووسًا بها، فوقعتُ أنا في النهاية في ورطة. وعندها غيرتُ هذه المرة استراتيجية القتال، فتعمَّدت مدح تاكي سان، وخططتُ أن أُحجمك بطريقة أو بأخرى من خلال حديثي عن الحب الذي بلا جاذبية والنوع الجديد للصداقة بين الرجل والمرأة، وهذه هي الحقيقة البائسة لتفاصيل ما حدث حتى الآن. ليس انعدام الجاذبية بل كنتُ على العكس منجذبًا حتى النخاع. وهذه هي حقًّا المشاعر التي يجب أن توصف بصعوبة كبح جماحها، إنسان في منتهى الضحالة حقًّا.

٣

لقد قلتَ أنت إن تاكي سان جميلة لدرجة مهولة، وحاولت أنا باستماتة محو ذلك، ولكن حتى أنا كنتُ أرى أن تاكي سان جميلة لدرجة مهولة. اعتقدتُ ذلك بمجرَّد أن رأيتها لأول وهلة في اليوم الذي أتيتُ فيه إلى هذه الصالة.

إن مثل تاكي سان هي فعلًا المرأة الجميلة. إن تاكي سان عندما كانت تمسح ألواح الأرضية الخشبية وهي تنحني بهدوء وسكون في قاع الظلام ذي الهاجس المريب تنيرها إضاءة المصباح الكهربائي الأزرق للمغسلة، كانت جميلةً لدرجة مرعبة. لا أقول ذلك مستاءً من الهزيمة؛ لأنه كان أنا، فقد مر الأمر بسلام، ولكن لو كان شخصًا آخر في هذا الموقف لوقعت جريمة بلا شك ولا ريب. إن كابُّوريه يقول دائمًا إن المرأة شيطان، ربما فعلًا تفقد المرأة إنسانيتها لحظيًّا دون وعي وتصبح ذات طبيعية شيطانية.

الآن فقط أنا أعترف. إنني أعشق تاكي سان. لا علاقة لذلك بقديم أو جديد.

افترقتُ مع أمي، ثم مشيت ومشاعري تتأرجح مثل اهتزاز رضفة الركبة، وعطشتُ عطشًا مريعًا فقلت: لنسترح قليلًا في مكان ما.

وكان صوت هذا مبحوحًا لدرجة أنني أنا نفسي تفاجأتُ منه، وشعرتُ أنها كلمات يهمس بها شخص آخر في مكان يبعد عني بُعدًا مهولًا.

– من المؤكَّد أنك تعبت. بعد قليل سنصل إلى بيت اعتدنا على أن نُعرِّج عليه أحيانًا ونستريح قليلًا.

أرشدتني مابو فدخلنا بيتًا على طراز يشبه ما يُسمى طراز ميوشينو قبل الحرب. في المدخل الترابي الواسع ذي الإضاءة المعتمة قليلًا، تتدحرج هنا وهناك دراجة هوائية محطَّمة، وجوَّالات فحم، وفي أحد الأركان طاولة واحدة متواضعة، وُضع معها مقعدان أو ثلاثة مقاعد، وعُلِّقت بالجدار الذي بجوار تلك الطاولة مرآة كبيرة، تلمع في ريبة بأشعة بيضاء مرعبة تترك انطباعًا عميقًا. مع قول إن هذا البيت يعمل محلًّا، إلا أنه يبدو أنه مجرد يقدِّم الشاي للمعارف، وهو المكان الذي يتهرَّبن فيه مساعِدات الصالة من العمل عندما تخرجن في مهمة. دخلت مابو بجراءة إلى الغرفة الداخلية وأحضرت قنينة الشاي الخزفية والأكواب ثم عادت. جلسنا وجهًا لوجه على المقاعد التي أسفل المرآة وشربنا معًا الشاي الفاتر، ثم أطلقتُ زفرةً عميقة فارتاحت مشاعري قليلًا واستطعت أن أقول بنبرة خفيفة: إذن تاكي سان ستتزوَّج؟

– أجل.

كانت مابو مؤخرًا تبدو في وحدة لسبب مجهول. انكمش كتفها من البرودة كما يبدو ثم قالت وهي تنظر إلى وجهي مباشرة: ألم تكن ... تعرف؟

– لم أكن أعرف.

سخنت عيني فجأةً وتأزَّم موقفي فنظرتُ للأرض.

– أتفهَّم ذلك، حتى تاكي نفسها كانت تبكي.

– ما هذا الذين تقولين؟

كانت نبرتها الودية مقزِّزة، مقزِّزة، فبدأتُ أشعر بالغضب الشديد.

– لا يجب عليكِ أن تقولي شيئًا ... سخيفًا.

– ليس شيئًا سخيفًا أبدًا.

كانت مابو تبكي.

– لذلك ألم أقل لك، حذارِ من أن تحسِّن علاقتك بها؟

– لا أحسِّن علاقتي بها مطلقًا. لا تقولي أي شيء هكذا وكأنك عالمة بكل الأمور؛ فهو أمر مقزِّز بدرجة لا تُحتمل. إن زواج تاكي سان أمر جيد، أمر سعيد أليس كذلك؟

– خطأ؛ لأنني أعرف. مهما حاولت خداعي لن تفلح.

فارت الدموع من عينَيها الواسعتين، وتجمَّعت على أهدابها ثم بدأت تسيل لتصل إلى خدودها.

– أنا أعرف. أنا أعرف.

٤

– توقفي. لا معنى لذلك.

فكرتُ أنه لو أحد رآنا في هذه الحال فستكون ورطة.

لا معنى مطلقًا لما تقولين.

ولكنني لم أكن أعتقد أن تلك الكلمات التي أكرِّرها لها أي معنًى.

مسحت مابو دموعها بأطراف أصابعها وابتسمت قليلًا ثم قالت: أنت يا هيباري مهمل جدًّا. لا أصدِّق أنك لم تكن تعلم حتى الآن بما بين مدير الصالة وبين تاكي سان.

– لا أعلم مثل هذه الأمور البذيئة.

تعكَّر مزاجي بشدة فجأة، وتولَّدت لديَّ رغبة في ضرب الجميع ولكمهم لكمًا موجِعًا.

– ما هذه الأمور البذيئة؟ هل الزواج أمر بذيء؟

– كلا، ليس بذيئًا مطلقًا.

ثم أكملت بتلعثم: ولكن ما قبله من أمور …

– ماذا تقول؟ لا يوجد مثل هذا مطلقًا. إن مدير الصالة شخص جاد. لم يقل شيئًا لتاكي سان بل ذهب مباشرةً إلى والدها وطلبها منه. وقد سمعت أن والد تاكي سان موجود هنا نازحًا بسبب الحرب، ثم تحدَّث والدها معها مؤخرًا، فظلَّت تاكي سان تبكي ليلتين أو ثلاث ليالٍ، تقول إنها لا تريد أن تتزوَّج.

فقلتُ بمشاعر سارة: إن كان الأمر كذلك فهو جيد.

– ما الجيد في الأمر؟ الجيد أنها ظلَّت تبكي؟ أنت شخص كريه يا هيباري.

قالت ذلك ضاحكةً ثم مالت بوجهها عرضًا وباتت أشعة عينَيها حيةً حيوية مريبة، ثم مدَّت ذراعها الأيمن للأمام برفق وقبضت بقوة على يدي الموضوعة فوق الطاولة وقالت: لقد بكت تاكي سان بسبب حُبِّها لك يا هيباري. هذه هي الحقيقة. أنا لا أكذب.

ثم زادت من قوة قبضها على يدي أكثر، فقبضتُ أنا أيضًا على يدها دون أن أفهم شيئًا. كانت مصافحةً بلا معنًى، ثم أحسستُ على الفور بغباء ما أفعله، فسحبتُ يدي ولكي أخفي خجلي جرَّبت أن أقول: هل أصب لكِ مزيدًا من الشاي؟

– كلا.

خفضت مابو عينَيها بضعف ورفضت بطريقة رفض غريبة رفضًا حاسمًا.

– ألَا نخرج من هنا إذن؟

– بلى.

أومأتْ إيماءةً خفيفة ثم رفعت وجهها. كان ذلك الوجه رائعًا، رائعًا روعة مفاجئة. كان وجهها بلا ملامح البتة، وظهرت تجاعيد رفيعة خافتة على جانبَي أنفها وكأنها متعبة، وفتحت فمها قليلًا وعيناها الواسعتان تصفوان ببرود وعمق، كان في ذلك الوجه الذي شحب قليلًا وبات أزرقَ، رقي نفس بدرجة مهولة، رقي النفس هذا الذي يميِّز بصفة خاصة الشخص الذي يئس تمامًا وتخلَّى عن كل شيء. خاضت مابو معاناةً هائلة، ثم غدت لأول مرة امرأةً تستطيع أن تُظهر جمالًا جديدًا بلا أنانية لدرجة النقاء الشفاف الكامل. إنها أيضًا رفيقة لنا. أسلمت نفسها للمركب الجديد العملاق وتتقدَّم كما هي في طريق السماء البحري بخفة وبراءة. وتلمس رياح «الرغبة» الضئيلة خدَّيها، ووقتها اندهشتُ من جمال وجهها فتذكَّرت كلمة «عذراء إلى الأبد»، تلك الكلمة التي كنت في المعتاد أعتبرها تنفُّجًا، لم تكن في ذلك الوقت تنفُّجًا مطلقًا، بل شعرت في الواقع أنها كلمة طازجة.

ربما أنت تضحك الآن عندما يستخدم شخص غليظ الحس مثلي كلمة «عذراء إلى الأبد» التي تنتمي للطبقة العليا من المجتمع، ولكنني حقًّا أُنقذت في ذلك الوقت بواسطة وجه مابو الراقي النفس.

وشعرت أن جسمي خفَّت أحماله سريعًا بعد أن بدا لي زواج تاكي سان كذلك كأمر من الماضي البعيد. حتى ولو لم يكن ثمة إرادة في اليأس، كان شعور أن المنظر الذي أمام عيني يبتعد كلما نظرتُ إليه وكأنني أنظر إليه من خلال مجهر فبدا صغيرًا مقلوبًا، ولم أعد أشعر بالتشبُّث بأي شيء في قلبي، ومع ذلك بقي داخلي فقط إحساس بالانتعاش أنني اكتملت.

٥

تصنع طائرة أمريكية دوائر في السماء الزرقاء الصافية لنهاية الخريف. وقفنا أمام البيت الذي على طراز ميوشينو ونظرنا عاليًا تجاهها.

– تطير وكأنها تمل الطيران.

– أجل.

أجابت مابو بابتسامة.

– ولكن ثمة جمال وجِدة في شكل الطائرة. تُرى هل سبب ذلك هو عدم وجود زينة واحدة لا ضرورة لها؟

– أجل.

قالت مابو ذلك بصوت خافت ثم نظرت إلى الطائرة التي في السماء بإلحاح مثل الأطفال.

– الشكل الذي بلا زينة لا داعي لها، شيء جميل.

لم يكن ذلك انطباعًا عن الطائرة فقط، بل كان كذلك تفكيري الخفي بشأن هيئة مابو التلقائية التي تُشبه حالة الذهول التام.

مشينا نحن الاثنان في صمت، وكنتُ كلما رأيت امرأةً في الطريق أنظر إليها بانتباهٍ وعناية، وأعتقد أنه مع وجود تباين في الدرجة فقط، ولكن كانت وجوه النساء جميعًا في هذا العصر تُظهر جمالًا شفافًا بريئًا بلا شبق مثل جمال مابو. باتت النساء أكثر أنوثة، ولكن لم يكن ذلك معناه أنهن عُدن إلى ما كنَّ عليه قبل الحرب العالمية، ولكنها كانت «أنوثة» جديدة خاضت معاناة الحرب. كيف يمكنني قول ذلك؟ تُرى هل ستفهم ماذا أعني لو قلت لك إنه جمال يشبه غناء الكروان البسيط؛ أي «الخفة».

عدنا إلى صالة الألعاب قبل الظهر بقليل، ولكن لأننا مشينا أكثر من اثنين كيلومتر ذهابًا وإيابًا فقد كنت في منتهى التعب، فسقطت نائمًا على سريري دون حتى أن أبدِّل ملابسي وأرتدي المنامة أو أخلع المعطف.

– الغداء يا هيباري.

فتحت عيني فتحةً ضيقة فرأيت تاكي سان تقف حاملةً آنية الطعام وهي تبتسم.

آه، السيدة زوجة المدير!

نهضتُ واقفًا على الفور ودون وعي انحنيت انحناءةً خفيفة وقلت: أهلًا، أنا آسف.

قالت وكأنها تحدِّث نفسها وهي الآنية بجوار الوسادة: أنت نعسان! أيها الناعس. هل هناك أحد ينام بالكيمونو؟ لو أصابك البرد الآن سيكون أمرًا جللًا! أسرع بارتداء المنامة فورًا.

وهي تقول ذلك بمزاج متعكِّر رافعةً حاجبَيها لأعلى، أخرجت المنامة من درج السرير وأضافت: طفل مدلَّل تربَّى على الترفيه، يسبِّب المشاكل والإزعاج! تعالَ فسوف أبدِّل لك ملابسك!

نزلتُ من السرير وفككتُ حزام الكيمونو. إنها تاكي سان المعتادة دائمًا. وبدأت أفكِّر أن زواجها من مدير الصالة هو كذب خالص. ماذا؟! لقد كنتُ الآن نائمًا أرى حلمًا! مجيء أمي كذلك كان حلمًا، وبكاء مابو في البيت الذي على طراز ميوشينو كذلك كان حلمًا، هكذا شعرت للحظة فأخذتني الفرحة، ولكن لم يكن الأمر كذلك.

خلعت تاكي سان عني الكيمونو وهي تقول: يا له من كيمونو جيد! من نوع كاسوري بمدينة كورروميه أليس كذلك؟ رائع ومناسب جدًّا عليك يا هيباري. إن مابو محظوظة جدًّا. قالت إنها أثناء العودة شربت الشاي مع والدتك في مكان ما.

كما توقَّعت، لم يكن حلمًا، فقلت لها: مبروك يا تاكي سان.

لم تُجِب. صمتت ثم علَّقت المنامة من خلفي ثم وضعت ذراعي في أكمامها، وقرصتني بقوة شديدة في ملتقى ذراعي بكتفي. جززتُ على أسناني لأتحمَّل الألم.

٦

بدَّلت المنامة وكأن شيئًا لم يكن، ثم بدأت تناول الطعام وبجواري تاكي سان تطوي كيمونو الكاسوري. ولم ينطق أي منَّا ببنت شفة للآخر، وبعد فترة قالت تاكي سان هامسةً بصوت في منتهى الخفوت: سامحني.

فشعرت أن تلك الكلمة احتوت على مشاعرها كلها، فهمست وأنا أواصل تناول الطعام مقلدًا لهجة تاكي سان: إنسان شنيع!

ثم شعرت كذلك أن تلك الكلمة احتوت على مشاعري كلها.

فضحكت ضحكات مكبوتةً وقالت: أشكرك.

لقد تصالحنا، وبتُّ أتمنى لها السعادة من أعماقي.

– إلى متى ستواصلين العمل هنا؟

– حتى نهاية هذا الشهر.

– هل نقيم لكِ حفل وداعٍ؟

– أوه! مقزز!

ارتعشت تاكي سان بمبالغة، ثم وضعت الكيمونو المطوي في درج الخزانة سريعًا وخرجت من الغرفة بلا مبالاة. تُرى لِم كان جميع من حولي هكذا أناسًا طيبين وحسني الطوية؟ إنني أكتب لك هذه الرسالة وأنا أستمع إلى محاضرة الساعة الواحدة بعد الظهر، مَن الذي ألقى محاضرة اليوم؟ هل تعرف؟ أرجو منك أن تفرح. إنه الأستاذ كاشو أوتسوكي. إن شعبية الأستاذ أوتسوكي في صالة الألعاب في ارتفاع عظيم مؤخرًا، ولم يعد أحد يناديه بلقب أسد إتشيغو الذي لا يليق. بعد اكتشافك له، بقيتُ يومين أو ثلاثة صابرًا لا أبلغ أحدًا، ولكنني بُحت أخيرًا بالأمر سرًّا إلى مابو، وفي لمح البصر انتشرت الشائعة في كل مكان، وخاصةً أنه مؤلف كلمات «فتاة أورليان»، كان ذلك سببًا في احترام الجميع له بلا شروط، بل وصل الأمر لدرجة أن مدير الصالة وقت مرور على الغرف قدَّم اعتذاره إلى الأستاذ كاشو عن عدم التعرُّف على شخصيته حتى الآن.

وبالتأكيد في العنبر الجديد، ولكن طلاب العنبر القديم أيضًا، انهمرت عليه طلبات تصحيح وتعديل الأشعار من الهايكو إلى الواكا، ولكن الأستاذ كاشو لم يتغيَّر ولم يُظهر فجأةً أي قدر ولو ضئيلًا من مظاهر التعالي الممقوت، بل كان كما هو متوقَّع أسد إتشيغو الصموت، ووكَّل كابُّوريه في تصحيح وتعديل أغلب أشعار الطلاب. وكابُّوريه مؤخرًا في منتهى الرضا، يَعُد نفسه التلميذ الأقرب للأستاذ كاشو، ويضع على وجهه ملامح الجدية، فيُحدث في أشعار الآخرين التي عانَوا من أجل تأليفها تعديلات كثيرةً كما يحلو له. واليوم تقرَّر أن يلقي الأستاذ كاشو محاضرةً لأول مرة بناءً على طلب الإدارة. وكانت المحاضرة بعنوان «التفاني»، وعندما سمعتُ صوته يأتي هكذا عبر مكبِّرات الصوت، شعرت بمشاعر الجلال والهيبة أنني أتلقَّى تعليمًا وإدراكًا من إنسان عظيم وجليل جدًّا. في الوقع إنه صوت مهيب هادئ البال. ربما كان الأستاذ كاشو أعظم كثيرًا جدًّا ممَّا كنتُ أعتقد، وكما توقَّعت كان محتوى المحاضرة جيدًا، ليس به أي قدر من الأفكار القديمة.

أمَّا التفاني فهو بالتأكيد ليس قتل النفس بجرح المشاعر اليائسة عشوائيًّا، ثمة اختلاف كبير، بل إن التفاني هو إحياء النفس للأبد في أكثر الصور ازدهارًا، ويكون الإنسان خالدًا من خلال هذا التفاني النقي، ولكن ما من أي ضرورة للاستعداد والتأهُّب من أجل التفاني، بل يجب عليه اليوم والآن وبوضعه الحالي أن يقدِّم كل ما لديه، فيجب على الشخص الذي قبض على فأسه التفاني بنفس مظهر الفلاح الحامل الفأس. لا يجب

عليه الاهتمام كثيرًا بمظهره؛ فمن غير المسموح مطلقًا تأجيل التفاني، فيجب على الإنسان أن يكون متفانيًا في كل لحظة وكل ساعة من وقته. الاستعداد والتفكير في كيفية أن يكون شكل التفاني عظيمًا، أمر بلا معنًى. ظل الأستاذ يشرح مرارًا وتكرارًا بكل قوته. وأثناء سماعي احمرَّ وجهي مرات عديدة؛ يبدو أنني حتى الآن بالغت في الإعلان عن نفسي بالقول رجل جديد رجل جديد. بالغت في التشبث بالاستعداد للتفاني. أعتقد أنني كان لي ما يُشبه التمسك بمساحيق التجميل. لنسحب لوحة الرجل الجديد في هذه اللحظة بشجاعة وإقدام. إن من حولي باتوا مرحين بمثل درجة مرحي. ألم نُصبح مرحين مزدهرين دائمًا بدون استثناء واحد منا كلما ظهرنا حتى الآن؟ لا يبقى إلا عدم الكلام والسير بخطوات مستقيمة في منتهى الاعتيادية دون إسراع أو إبطاء. إلى أين يصل هذا الطريق؟ من الأفضل سؤال النبات المتدلي الذي يمتد، ومن المؤكد أنه سيجيب: أنا لا أعرف، ولكن الأكيد أن في اتجاه امتدادي توجد الشمس.

الوداع.

٩ ديسمبر

خاتمة

كان من المفترض أن تصدر هذه الرواية بعد الحرب من دار نشر كاهوكو شينبو في مدينة سنداي، ولكن بسبب خطأ في تقنية الطباعة التي قامت بها تلك الشركة، يبدو أن إعادة نشرها استغرق وقتًا، وكما علمت أن ثمة طلبًا عليها من القراء، وبعد موافقة كريمة من السيد ياسوجي ميازاكي من قسم النشر في دار نشر كاهوكو شينبو آلت إعادة طبع تلك الرواية إلى السيد هيديو إيواتسوكي.

إنني على معرفة بالسيد إيواتسوكي منذ زمن يزيد عن عشر سنوات؛ فقد تعرَّفتُ عليه أثناء التلمذة على يد ماسوجي إيبوسيه. ولقد سمعتُ أنه اتجه هذه المرة إلى عالم النشر، وقال إنه يريد أن تكون رواية «صندوق باندورا» أول كتاب يطبعه عرفانًا بتلك الزمالة. ولا تخفى حتى على غبي مثلي مصاعب بدء مشروع جديد في مجال النشر وسط الأوضاع الحالية. وليس أمامي الآن إلا أن أصلي من أجل أن تُنشر الرواية على خيرٍ ودون معوِّقات أو مشاكل خطيرة.

انتهى.

أوسامو دازاي

نهاية ربيع عام ١٩٤٧م

هنـــداوي